الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب العربى

تأليف الاستاذ الدكتور
فيصل صلاح الرشيدى

الفلسفة الإسلامية في المشرق والمغرب العربي

تأليف

الأستاذ الدكتور : فيصل صلاح الرشيدي

أستاذ الفلسفة المساعد بجامعتي المرقب

والجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ومن والاه إلى يوم الدين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

إن الغزالي أبرز علماء فلسفة الأخلاق حيث أسهم بدور فعال في إرساء دعائم الجانب الأخلاقي من خلال مصنفاته الخاصة لأنها تعالج آفات العصر الحديث .

مولده : الإمام الغزالي** (٤٥٠هـ – ١٠٥٨م – ٥٠٥ – ١١١١م).

تمهيد : الجانب الأخلاقي من الموضوعات التي تشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الإمام الغزالي وتستحوذ على تفكيره ، أو ينبغي أن تكون كذلك ، فالإنسان في نظر الغزالي لا يستطيع أن يستغني عن الأخلاق في أية لحظة من لحظات حياته ، ولا يستطيع أن يستغني عن مثل أعلى في سلوكه أو معيار للحكم على أفعاله وأفعال الناس بالخير أو الشر لكي يخرج الإنسان من المرتبة الدنيئة إلى الرفيعة .

ونتناول في هذا الجانب الأخلاقي عن الغزالي نقاطاً رئيسية تعطينا فكرة واضحة عن نظريته الأخلاقية ، وكانت آراؤه في مفهوم الأخلاق من خلال مصنفاته الأصلية مثل كتاب إحياء علوم الدين – ميزان العمل – بداية الهداية ، ومن إبداعات الغزالي الأخلاقية بأنه اتبع المنهج المقارن والتحليلي للمقارنة بين الفضائل والرذائل لكي يختار الإنسان سلوكه في هذه الحياة ويؤكد الغزالي على أنواع الفضائل مثل فضيلة* (الوفاء – العدالة – السخاء – الشجاعة – فضيلة آداب القلوب – فضيلة العلم والصبر – العفة – الحكمة) .

والهدف من دراستها لكي يتمسك الإنسان بالفضائل الأخلاقية ويتجنب الرذائل ويؤدي فعل الإنسان إذا إلى فلسفة أخلاقية متكاملة .

ومن أهم أنواع الرذائل* التي تحدث عنها الغزالي (رذيلة الجهل – الكبر – الكبائر – ورزيلة الحسد والغرور) .

ومن الجدير بالذكر بأن حجة الإسلام الغزالي تناول مفهوم النفس الإنسانية بالمعنى الإسلامي والمعنى اليوناني ولكن الطابع الغالب عليه المعنى الإسلامي والدليل على ذلك بأنه قسم النفس إلى النفس المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء وربط مفهوم النفس بالجانب الصوفي عنده وإن دل على شيء فإنما يدل على أصالة

---

* هو محمد بن محمد كنيته أبو حامد وحامد ولده الأول الذي مات وهو صغير ولد في قرية غزلة التابعة لطوس الفارسية سنة ٤٥٠ ه . وكان والده يعمل بالغزظل ويبيعه حتى يكسب قوت يومه ويقضي بقية يومه مع الفقهاء والعلماء والمتعلمين من المتصوفة حتى صار فقيهاً مشهوراً في محلته – ولقب الأمام أبو حامد الغزالي بألقاب منها بزيف الدين حجة الإسلام – بالعالم الأوحد – وبفتى الأمة – جامع أشتات العلوم وهذه الألقاب تدل على علو مكانته – وهو أحد المجدون وذكر ابن عساكر أن أبا الحسن الأشعري قال : (كان على رأس المسائة الأولى عمر بن عبد العزيز – والذي كان على رأس الخمسائية الإمام أبو حامد الغزالي) ولازم إمام الحرمين الجويني وله رحلات علمية كثيرة ومن مؤلفاته : البسيط – الوسيط – إحياء علوم الدين – ميزان العمل بداية الهداية – جواهر القرآن – معيار العلوم – مشكاة الأنوار – تهافت الفلاسفة – كتاب التوحيد – كمياء السعادة – الجام العوام عن علم العلوم – قانون التأويل – أسرار الأنوار الإلهية .

* فضيلة : هذا اللفظ في العربية يعني الزيادة أي وفرة النفس ، ويعني أيضاً المزية وفي اللاتينية يدل على القوة البدنية أو المعنوية وعند أرسطو الفضيلة استعداد أو حال مكتسبة بالمران ويصرف ابن رشد الفضيلة بأنها بدعة مقدرة لكل فعل هو خبر.

* رذيلة : استعداد راسخ لمخالفة القواعد الأخلاقية في مقابلة (فضيلة) .

المفكر المسلم وإبداعه ويفسر لنا علاقة النفس الإنسانية بالفعل الإنساني لأن نفس الإنسان تحدثه بالخير والشر ، وبعد ذلك يوضح لنا أحكام هذه النفوس فمنها الخيرة والشريرة والشجاعة والغضبية .

ومن إبداعات الغزالي الأخلاقية بأنه تحدث عن الإلزام الخلقي الداخلي النابع من الإيمان ووضع لنا شروط للإلزام الأخلاقي منها التكليف الذي ينتج عنه المسئولية الأخلاقية ، أي أن كل إنسان مسئول عن فعله دون غيره لأن قاعدة الثواب والعقاب مترتبة على مسئولية الإنسان فقط والذي ينتج عن المسئولية الجزاء الدنيوي والأخروي .

ومن أهم مصادر الإلتزام عن الغزالي الفطرة ، الطباع السليمة ، الهيئة الاجتماعية ، وقاعدة الثواب والعقاب التي تشمل الأوامر – الشرائع – قاعدة الحسن للشيء وقبحه .

أولاً : تعريف علم الأخلاق* عند الغزالي :-

بالرجوع إلى مصنفات الغزالي الصوفية والفلسفية والدينية وجدنا أن علم الأخلاق عند الغزالي شرح لطرائق السلوك وفقاً لما سنته الشريعة الإسلامية ورسمه الصوفية ومن نحا نحوهم من الفقهاء ، وعلم الأخلاق عنده يبحث في طبيعة العمل الأخلاقي وطبيعة الخير والشر والحق والواجب والضمير الإنساني والسعادة الإنسانية والحكم الخلقي ، وبواعث السلوك ، ويقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علان الدين مثالاً له ليقرب من الإفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفس والإنسان إنما صار إنساناً بأفضل النفوس .

والنتيجة التي توصل إليها الغزالي لمفهوم علم الأخلاق هو تكييف النفس وردها إلى ما رسمته الشريعة وخطة رجال المكاشفة من علماء الإسلام ومن سبقهم من الأنبياء وعلم الأخلاق يميز بين الإنسان السعيد والشقي وهي السبيل إلى سعادة الإنسان لذلك وضع الغزالي كتابه ميزان العمل ليبين فيه طريق السعادة التي هي مطلب الأوليين والآخرين ويقرر أن السعادة لا تنال إلا بالأخلاق والعلم والعمل ويبقى معرفة العمل المسعد والتمييز بينه وبين العمل الشقي وهذا يحتاج إلى ميزان والغزالي كعادته في منهج كتابه – لا يقيم الوزن إلا بكتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم لذلك نجد في معظم مؤلفاته يستعين بالآيات القرآنية والأحاديث .

وعلم الأخلاق عند الغزالي يشمل تزكية النفوس وتهذيب النفس الإنسانية يقول الإمام الغزالي : ولما كان تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس مقصداً أساسياً ومهماً من مقاصد البعثة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام قال الله تعالى [**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا**] {البقرة:١٥١} ، وقال صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " صحيح الأدب المفرد _(٢٠٧) إذن يستخدم الغزالي لتعريف علم الأخلاق المنهج

* الأخلاق :- في اللغة جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة والدين والعند القدماء تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر وتكلف وفغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقاً كفض الحكيم . وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فنقول فلان كريم الأخلاق أو سيء الأخلاق . وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط دل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال .

الإسلامي الأصيل المعتمد على الكتاب والسنة والآثار السلفية وتوظيف العمل والعلم في تهذيب المسائل الأخلاقية .

لذلك يقول دي بور في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام (والغزالي في مسائل الأخلاق والألهيات يسير على مذهب أسلافه) .

مفهوم فلسفة الأخلاق وموضوعها وغايتها عند الإمام الغزالي :-

مفهوم فلسفة الأخلاق عند الغزالي له معنى خاص وتذوق خاص لأنه مرتبط بالجانب الصوفي الذي يعتمد على القلب – الإلهام* – الحدس القلبي – المكاشفة* الإلهية إذن الأخلاق عند الغزالي لها أبعاد تقوم عليها وهي البعد النفسي الذي يرتبط بعلاقة الفرد مع نفسه ومشاعره والذي يمكن أن يتمثل في صلات الفرد ونسكه ، وفي عرضه لطريق السعادة يجعل طريقته في التصوف في بعض قواعد يسيرة تشكل نبراساً هادياً للسالك في طريق القوم لذلك يقول (في أن الذكر وسيلة الصوفية لتطهير النفس وقطع العلائق بشواغل الدنيا وفي معرفة خطرات القلوب باعتبارها بواعث الأعمال وفي أن الأفعال تحسن أو تقبح بالنية ولقيام الأخلاق إلا بتطهير النفس من خفايا الآفات .

فإن من أكرم الفضائل وأحسن الشمائل ، خلق يتحلى بالإنسان ليعلو به عن مراتب الحيوان ، وقد نزع الإمام الغزالي إلى البحث عما يخرج الإنسان من هذه المرتبة الدنيئة الوضيعة : إلى المرتبة السامية الرفيعة التي ترتفع به عن مصاف الحيوان إلى المرتبة التي اختصه الله تعالى بها وخلقه من أجلها وهي خلافته في الأرض ليبسط فيها العدل الإلهي والخلق الفاضل .

ويقول أيضاً في كتابه رياضة النفس – تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب لابد من معرفة بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة* النفوس.

نظرية السعادة وارتباطها بالتصوف عند الغزالي :-

تعتبر نظرية السعادة من أهم موضوعات علم الأخلاق عند الغزالي ، وفي عرضه لطريق السعادة هذه يجمل طريقته في التصوف في بعض قواعد يسيره لكي يتبعها كل إنسان في تحقيق العمل الأخلاقي ، وتصوف الإمام الغزالي تصوف من نوع خاص مختلف عما كان سائداً في عصره فطريقة الشيخ والمريد وأساليب التسليك المقننة لم تكن لترتفع إلى مستوى همة الغزالي الذي لم يرضى بغير الرسول صلى الله عليه

---

* الإلهام :- ما وقع في القلب من العلم وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال ولا نظر وقد يراد بالإلهام التعليم كما في قوله تعالى (أي عملها ولكن التعليم من جهة الله قد يكون تارة يخلق العلوم الضرورية في نفس الإنسان وقد يكون تارة بنصب الأدلة السمعية والعقلية .

* علم الكاشفة :- هو العلم الذي يطلع فيه على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً أو شهوداً ويسمى بعلم المشاهدة وطريقة الوحي أو الإلهام عن طريق الآخرة : علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم إضافة عليه سوء الخاتمة .

* رياضة النفس :- يقول الحكيم الترمذي في كتابه أدب النفس : قال له قائل : وما رياضة النفس ؟ وكيف يكون ذلك ؟ قال يسيرٌ على من يسره الله ووفقه فأما الرياضة فهي مشتقة عربيتها من الرضّ وهو الكسر فقيل في الأشياء المكسورة راض .

* ويقول الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين : وأما أدب الرياضة والاستصلاح : فهو ما كان محمولاً على حال لا يجوز في العقل ان يكون بخلافها ولا أن تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط .

وسلم إماماً ومرشداً ومعلماً وشيخاً ولقد قال الله تعالى **[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا]** {الأحزاب:٢١} .

ويستدل بالآيات القرآنية لحسن الخلق : قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه **[وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ]** {القلم:٤} .

إذن السعادة الحقيقية عن الإنسان لا تتم إلا بتصفية النفوس من الآفات وكذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والمثل الأعلى في الأخلاق العظيمة .

غاية الفلسفة الأخلاقية عند الغزالي :- يقول في كتابه بداية الهداية (اعلم أن الدين شطران أحدهما ترك المناهي والآخر فعل الطاعات وترك المناهي هو الأشد) ولا يتم ذلك إلا عن طريق العقل : الذي يعقله عن السيئات ويحثه على الحسنات.

فإن الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات لا يقدر عليه إلا الصديقون واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق أي فصيح .

قال الله تعالى **[يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]** {النور:٢٤} .

إن الغاية من علم الأخلاق تتحقق إذا كانت أخلاق الإنسان قابلة للتغير لذلك يقول الغزالي في كتابه ميزان العمل أن تغيير الخلق ممكن ، ولو لم يكن ممكناً لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : حسنوا أخلاقكم فذلك دليل على إمكان تغيير الخلق وإلا لما أمر النبي به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب وكيف ينكر المرء تهذيب الإنسان مع استيلاء عقله وتغيير خلق البهائم ممكن ؟

إذن دراسة علم الأخلاق لها فائدة عظمى عند الغزالي وهي ترشيد السلوك الإنساني في توجيهه نحو القيم الخلقية والمثل العليا على أساس من الفهم والوعي والإدراك : فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر في نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش إليه أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليه وجمع حُطام الدنيا فأنت ساع في هدم دينك وهلك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة .

ومهمة علم الأخلاق عند الغزالي له معنى خاص يتعلق بالأمور الخفية* والهيئة الاجتماعية للإنسان لأن علم الأخلاق عنده ملتصق بحياة الإنسان أشد التصاق لأنه يبحث في السلوك الإنساني ويحكم على أعمال الناس بالخير والشر ، ومن الجدير بالذكر بأن الغزالي يضع قواعد أخلاقية لإصلاح المجتمع البشري فيقول (حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله في وصيته لابنه حضرتك الوفاة : فقال يا بني إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك يخدمها وإن رأى

---

* الأمور الخفية :- يقول الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي في كتابه أدب العلماء والمتعلمين (الآداب الزكية والأخلاق السنية والهمم العلية . الأمور الخفية التي توجد في القلب : تطهير القلب من كل دنس وغل وحسد وخلق ذميم وسوء المقيدة فإنها من خبايات القلب ولا يحصل العلم .... الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبيث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها وإذا طيب القلب للعلم ظهرت بركته .

منك حسنة عدها وإن رأى منك سيئة سدها فيما سبق تحدث الغزالي عن هدف من الأخـــلاق وغايتـــه والآن يتحدث عن الإلزام الخلقي .

الإلزام الخلقي * عند الغزالي :-

إن فكرة الإلزام لا تخلو منها أية فلسفة خلقية لها قيمتها ولا يخلو منها أي مذهب خلقي ولا قيمة لأيـــة قواعد خلقية لا تتضمن ألزاماً للناس بإتباعها ، فبدون هذا الإلزام تفقد القواعد الخلقية قيمتها وتعجـــز عـــن تحقيق غايتها وأهدافها والحديث عن الإلزام مرتبط دائماً في مجال الأخلاق بالحديث عن الالتـــزام فكلاهمـــا أساسي في العملية الخلقية لكي يعود الإنسان إلى إنسانيته ويتحلى بالأخلاق الفاضلة .

دعائم الإلزام الخلقي عن الغزالي تشمل التكليف المتعلق بالإنسان سواء في تركه أو نهيه وبـــين لنـــا شروط التكليف وهي القدرة – العلم – الإرادة *.

يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين الجزء الثاني (الكتاب التاسع من ربع العبادات :-

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطبي الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعـــث الله لـــه النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفوضى وفئت الضلالة وشاعت الجهالة وانتشر الفساد وخربت البلاد والعقل من الأمور المهمة في الإلـــزام الخلقـــي لأنـــه يسيطر على حواس الإنسان فيقول الغزالي الإنسان حيث خلق بنفسه عالماً كبيراً في المعنى صغيراً في الحجم فبدنه كمدينة وعقله كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهر والباطنة كجنوده .

(وسال رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى [**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**] {الأعراف:١٩٩} .

ومن أهم دعائم الإلزام الخلقي عند الغزالي :- الإجماع* : في وجود الأمر بالمعروف والنهـــي عـــن المنكر وفضيلته والمذمة في إهماله وإطاعته ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه : الآيات – الأخبار – الآثار .

- ويستدل الغزالي بالآيات القرآنية لتوثيق الهيئة الاجتماعية قال تعالى [**وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ**] {المائدة:٢} .

---

* الإلزام الخلقي :- يعرفه أ. عبد الله دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم : بأنه القاعدة الأساسية والمدار والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي الذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته ، وفناء ماهيته ذلك أنه إذ لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية وإذا عزمت المسؤولية فلا يمكن أن تعود العدالة وحينئذ تتفشى لبفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية .

– ويعرفه درجيل صليبا في معجم الفلسفة فيقول : الإلزام هو الرابطة الحقوقية التي بها يكون فعل الشيء أو عدم فعله والإلزام الخلقي : هو لا ينشا عن عقد بل ينشا عن طبيعة الإنسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر فما كان فعله أو عدم فعله ممكناً من الناحية المادية ثم وجب حكمه من الناحية الخلقية كان إلزاماً بمعنى أن الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله .

* الإرادة : من الكيفيات النفسية التي لا تحتاج إلى تعريف وهي في اللغة طلب الشيء او شوق الفاعل الى الفعل وفي الإصلاح هي الميل الكامل على إيقاع الفعل وإيجاده .

* الإجماع :- الإجماع في اللغة هو العزم والاتفاق – وله في الاصطلاح القديم معنيان :- احدهما عزم أهل الحل والعقد على أمر معين ، والآخر اتفـــاق المجتهدين في عصر على آخر ديني وهو أحد الحجج الشرعية .

وهذا أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب المكان ويذم الغزالي التقليد الأعمى فيقول فإن صارت مقهورة حدثت فيها هيئات انقيادية للشهوات تسمى تلك الهيئات أخلاقاً رديئة وإن كانت متسلطة حصلت لها هيئة إستيلائية تسمى فضيلة وخلقاً وحسناً .

ويوضح لنا الغزالي أهمية الهيئة الاجتماعية من خلال الإلزام الخلقي فيقول : لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ما لم يحب لسائر المسلمين ما يحب لنفسه بل ينبغي أن يساويهم في السراء والضراء فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد إذا شكا منه عضو اشتكى سائر الجسد .

- **الورع :** فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وهي من الحكمة الخلقية وهي قسم من أقسام الحكمة العملية فائدتها أن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتذكر بها النفس .
- **قاعدة الحسن للشيء وقبحه :** فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شرط الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جور رب العالمين ويقول الأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس .

مصادر الالتزام عند الغزالي :- تشمل " الفطرة* – الطباع السليمة – قاعدة الثواب والعقاب " بالنسبة للفطرة أمر مهم وضروري لحسن الخلق* والدليل عن ذلك يقول الغزالي : بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق* على الجملة: الاعتدال على وجهين احدهما : بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كف سلطان الشهوة والغضب ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما ينال بالاكتساب . فرب صبي خلق صادق اللهجة سخياً وربما يخلق بخلافة .

وعن أهمية الفطرة يقول الغزالي : فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتبار الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح .

وبالنسبة للطباع للسليمة يقول الغزالي : إذ من اعتدال قوة العقل : يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقافة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس وكذلك فإن المطلع على السرائر هو الله تعالي فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى .

وموضوعة أيضاً التطبيق العملي لقواعد الأخلاق والمشكلات التي تنجم عن هذا التطبيق ومدى مطابقة السلوك الواقعي للقواعد الخلقية .

---

* الفطرة :- فطرة وفطرية هي الخلقة التي يولد عليها كل مولود من فطر بمعنى خلق وقيل هي ما يقلب الله قلوب الخلق إليه بما يريدونه كما يقول مفطور على الخير أو الشر .

* حسن الخلق :- يعبر عن السلوك لأن علم الأخلاق هو علم السلوك وهو من أقسام الحكمة العملية ويسمى أيضاً بتهذيب الأخلاق والحكمة العملية والخلقية والخلق العظيم عند السالكين هو الإقبال على الله تعالى والخلق الكريم في فلسفة الأخلاق هو أن يملك الإنسان نفسه وأن يكون سلوكه ثابتاً ومتماسكاً .

* حسن الخلق :- يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١ ه في كتابه (الغنية في الأخلاق والتصوف) وحسن الخلق مع الله عز وجل أن تؤدي أوامره ، وتترك نواهيه ، وتطيعه في الأحوال كلها من غير اعتقاد استحقاق العوض عليه ، وتسلم جميع المقدور إليه من غير تهمه وتوحده من غير شرك ، وتصدقه في وعده من غير شك .

شروط المسؤولية عند الغزالي :-

تشمل المسؤولية السريرة الأخلاقية :-

وأيضاً العدالة [*]:- إذ من اعتدال قوة العقل : يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس .

العدل : وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل .

مفهوم النفس الإنسانية وعلاقتها بعلم الأخلاق عند الغزالي :-

يقول الغزالي : إن أدب النفس ضروري لمن أراد أن يتحلى بمكارم الأخلاق بأخلاق القرآن والتأسي برسول الله ﷺ وتحدث أيضاً عن تهذيب النفس وإصلاح شأنها والعروج بها إلى مراقي الفلاح وقد عالج قضايا النفس الإنسانية وتتبع كل شيء فيها تتبع العالم الخبير بأخصى خصائصها . ولما كان ملاك الأمر معرفة النفس عظم الله أمره ونسبة إلى نفسه تخصيصاً وإكراماً فقال تعالى [**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**] {ص:٧٢.٧١}.

معرفة النفس وقواها وخواصها ومعالجتها فيقول : ولا يمكنك معرفة ما تطلبه إلا أن تعرف أولاً نفسك وقواها وخواصها فكيف تشتغل بمخالطة زيد من لا يعرف زيد والمجاهدة[*] معالجة للنفس وتزكيتها فتفضى إلى الفلاح كما قال الله تعالى [**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**] {الشمس:٩ -١٠} ومن لم يعرف الثوب لا يتصور منه إزالة وسخه .

الشروط الضرورية لمعرفة النفس عند الغزالي :- وتنقسم إلى العلم النظري والعلم العملي أما العلم النظري فكثير ونحن ينتفي من العلم بتبليغ النفس كمالها لتسد بكمالها مبتهجة بما لها من البهاء والجمال زيد الدهر وكالعلم باللغة والإعراب والنحو والشعر والرسل .

- **أما العلم العملي** وهو ثلاثة علوم : علم النفس بصفاتها وأخلاقها وعلمها بكيفية المعيشة مع الأهل والولد والخدم والعبيد ولابد من سياسة قوى بدنك من الشهوة والغضب .

ونقول هنا لماذا اهتم الغزالي بدراسة النفس الإنسانية ؟

فإن الإمام الغزالي شغل نفسه بأدب النفس لأنها تأخذ بالنفس الإنسانية[*] إلى المسار الصحيح وتقدم للإنسان النصح الجميل وترسم له طريق المجاهدة والتريّض ليخلص الإنسان إلى عبودية الله سبحانه وتعالى . والنفوس الطاهرة العفيفة التي تأدبت بالقرآن وتأست بأخلاق الرسول ﷺ تستطيع أن تشق الطريق وتضع العلامات المضيئة في الطريق والنفس الإنسانية من العجائب فلا بد من الاهتمام بها والبحث عنها فيقول :

---

[*] العدالة : يقول ابن مسكوية في كتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق : فأما العدالة فهي فضيلة النفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث (الحكمة – الشجاعة – العدالة) ويحدث للإنسان بها سمة : ويختار بها أبداً الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وله .

[*] المجاهدة :- فالأصل فيها قول الله عز وجل [**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**] {العنكبوت:٦٩} وقال أبو علي الدقاق رحمه الله : من زين ظاهرة بالمجاهدة ، حسن الله سرائره بالمشاهدة .

[*] النفس الانسانية (النفس الناطقة) يقول يحي بن عدي في كتابه تهذيب الاخلاق : فاما النفس الناطقة فهي التي بها يتميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها يكون الفكر والذكر والفهم وهي التي عظم بها شرف الانسان وهي التي بها يستحسن المحاسن ويستفتح المفاتيح .

والعالم بما فيه من العجائب تصنيف الله وتأليفه وإبداعه واختراعه والنفس جزء من أجزاء العالم وكل من أجزاء العالم مشحون بالعجائب فلا يزال الباحث عنها مستفيداً زيادة اعتقاد وتأكيد إيمان ولذلك حث الله على التفكر في النفس لقوله تعالى [**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ**] {فصِّلت:٥٢}.

ويشبه الغزالي النفس في جسم الإنسان مثل الوال في المدينة حيث يقول : مثل نفس الإنسان في بدنه كمثل وال في مدينته ومملكته وقواه وجوارحه الخادمة البدن بمنزلة الضياع والعملة والقوة المفكرة كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء .

ويقسم الغزالي النفس إلى ثلاثة أقسام كما جاء ذكر في القرآن الكريم وهي ما يأتي :-

١. **النفس المطمئنة:-** وهي التي تتصف بالأخلاق الحميدة والعبادة لله يقول الغزالي عن هذه النفس هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فلذلك قال الله تعالى [**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ**] {الذاريات:٥٦} ،ويقول الله تعالى [**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**] **{الفجر: ٢٨:٢٧}** .

٢. **النفس اللوامة :-** لقول الله تعالى [**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**] {القيامة:٢} قال لا يلفى المؤمن ألا يعاتب نفسه : ماذا أردت بكلمتي ؟ ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى عبداً قال لنفسه الست صاحبه كذا ، الست صاحبه كذا ، ثم رمها ثم خصمها .

٣. **النفس الأمارة بالسوء :-** التي هي الشهوة والغضب كالعدو ينازعه مملكته ويسعى إلى هلاك رعيته واعلم إن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فراره من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك . وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعزل وعلامة كانت نفسك هي النفس اللوامة [*].

ويقول الإمام الغزالي في كتابه منهاج العابدين ثم عليك يا طالب العبادات عصمة الله وإياناً بالحذر من هذه النفس الأمارة بالسوء فإنها أضر الأعداء وبلاؤها أصعب البلاء وعلاجها أعز الأشياء .

وهناك معنى يوناني للنفس الإنسانية كما قسمها أفلاطون وأرسطو ولكن الغزالي يحتفظ بالمعنى الإسلامي حيث يقول فاعلم أن للنفس الحيوانية بالجملة قوتين : احدها محركة والأخرى مدركة والمحركة باعثة ومباشرة للحركة .

فالمباشرة للحركة : هي القوة التي تنبت في الأعصاب والعضلات .

---

[*] النفس المطمئنة واللوامة والأمارة :- يقول نور الدين على المنير في كتابه كشف اللبس في مناصحة النفس: وقيل الأمارة : تمازج صاحب الإسلام ، اللوامة : تصاحب صاحب مقام الإيمان والمطمئنة : تساكن صاحب مقام الإحسان .

- ويقول أبو الحسن البكري الصديقي في كتابه كشف اللبس في مناصحة النفس (وخلّص نفسك من رذائل احتفال الخلق وذمهم ومقتهم فهذه أدواء مهلكة .

والمراد بالباعثة : القوة النزوعية الشوقية التي تبعث على الحركة مهما حصل في الخيال إذن كمال النفس عند الغزالي لا يتم إلا بالعلم والعمل والإطلاع على الحقائق الأمور مع حسن الأخلاق وكذلك قوى النفس (العفة وقوامها في الشهوة – الحكمة وقوامها الفكرة – العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس – القوة وقوامها الغضب) .

معرفة أحوال النفس عند الغزالي عن طريق المجاهدة الصوفية :-

١. المجاهدة الصوفية وتوهج النور الإلهي في القلب : كان الغزالي بطبيعته اقرب إلى أهل التصوف وفكره وسلوكه ذلك أنه عندما بدأ يعاني مراره الشك . سارع إلى الاعتكاف والزهد في الحياة وظل يمارس مجاهدات الصوفية حتى وصل إلى مرحلة عليا من الكشف ساعدته على علاج النفس وتوبيخها إلى أن قذف الله تعالى في قلبه نور اليقين حتى أصبح الحجاب مكشوفاً عن الغزالي ليدرك النور الإلهي كل الحقائق اليقينية حيث يقول (ولم يكن ينظم دليل وترتيب كلام) بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .
٢. **الحدس القبلي للحقائق اليقينية :** إن النور الإلهي يساعد القلب على حدس الحقائق اليقينية التي تعجز حواسنا وعقولنا عن إدراكها . ويفسر الغزالي هذا المعنى قائلاً إن هناك حقائق يقينية أعلى من مستوانا البشري ولا يدركها إلا من تصوف وخلع عن نفسه رداء الدنيا والحسد وجاهد ليرقى إلى المستوى الروحاني العلوي حيث يقذف الله تعالى حينئذ في قلبه ذلك النور الإلهي وتلك النفحات الربانية التي تمثل الحقائق اليقينية ويدعم الغزالي هذا الموقف قائلاً : من ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف . وذلك النور ينبعث عن الجود الإلهي في بعض الاحايين ويجب التعرض له كما قال عليه الصلاة والسلام : ((أن لربكم في أيام دهركم لنفحات إلا فتعرضوا لها)) .

وأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب الفضائل إلا بها فهي مبدأ الخيرات كما قال تعالى [**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**] {طه:٥٠} .

ويقول في كتابه الميزان هو النور الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة فيهتدي بها إلى ما لا يهتدي إليه ببضاعة العقل الذي يحصل التكليف وإمكان العلم وإياه عني بقوله تعالى **[قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى] {البقرة:١٢٠}.**

فأضافه إلى نفسه وسماه الهدى المطلق بقوله تعالى [**أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**] {الزُّمر:٢٢} .

[أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس] {الأنعام:١٢٢} .

ويقول الغزالي بعد معالجة النفس عن طريق التصوف : إن الجمال يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تؤدى إلى البدن والمنظر والمخبر كثيراً ما يتلا زمان ولذلك عول أهل الفراسة على هيئات البدن واستدلوا بها على الأخلاق الباطنة .

بعد أن تحدثنا عن أنواع النفس عند الغزالي وأقسامها وأحكام التعرف عليها حتى يتعرف الإنسان على الخير والشر والسعادة يبين لنا الفرق بين الفضائل والرذائل .

الفضائل والرذائل عند الغزالي :-

١. فضيلة الألفة :-

أعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق وجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة . وحسن الخلق لا تخفي في الدين فضيلة وهو الذي مدح الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام [**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**] {القلم:٤} .

٢. وتحدث الغزالي في كتابه الأحياء وميزان العمل عن أمهات الفضائل الأربع التي هي جماع كل خير : وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة . بل أنه ليرى رأي أفلاطون في العدالة – كما فعل ابن مسكوبة أيضاً – عندما يقول إنها جمع كل فضيلة ، كما أن الجور جماع كل رذيلة وعلى هذا لا تكون العدالة واحدة من الفضائل الأربع بل جملتها وتحدثنا فيما سبق عن العدالة والمسئولية .

٣. فضيلة الرفق :-

أعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف ينتجه الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة . وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش التفكر . فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب .

٤. **فضائل نفسية :-** (العقل وكماله العقل – العفة وكمالها الورع – الشجاعة وكمالها المجاهدة – العدالة وكمالها الإنصاف وهي على التحقيق أصول الدين.

٥. **فضائل توفيقية :-** (وهي أربعة هداية الله* – ورشده وتسديده وتأييده فهذه هي العادات بعد العادات الأخروية .

٦. **الفضائل البدنية :** (المنحصرة في أربعة الصحة ، القوة ، الجمال ، وطول العمر ويتممها الفضائل المطيفة بالإنسان المنحصرة في أربعة أمور وهي : (المال – والأهل والعز وكرم العشيرة ولا يتم الانتفاع بشيء من ذلك إلا بالفضائل التوفيقية بعد أن وضع لنا الغزالي الفضائل لكي يصبح الإنسان خيراً يتحدث عن الرذائل وأقسامها .

أقسام الرذائل* عند الغزالي :-

يقول الإمام الغزالي (اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة ، ويطهر القلب من رذالتها طويل وسبيل العلاج فيها غامض ، ولكننا نحذرك الآن ثلاثاً من خبائث القلب هي الغالية على متفقهة العصر لتأخذ

---

* هداية الله :- يقول الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية فإن لله تعالى نورين : نور يهدي إليه وله في القلب عينان (عين البصيرة وهو علم اليقين والعين الأخرى عين اليقين (فعين تنظر بالنور الذي يهدي به وعين اليقين تنظر بالنور الذي يهدي إليه كما قال الله تعالى [**يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**] {النور:٣٥ } .

* الرذائل بالنسبة إلى النفس : يقول ابن حزم في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل (ليس بين الفضائل والرذائل ولا بين الطاعات والمعاصي الأنفار النفس وأنها فقط فالسعيد من أنِسَت نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت عن الرذائل . والثقيّ من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي .

منها حذرك فإنها مهلكات في أنفسها وهي أمهات لجملة من الخبائث سواها هي (الحسد – والرياء – والعجب) فاجتهد في تطهير قلبك منها .

١. **الحسد :-** حقيقته عند الغزالي :- اعلم أنه لأحد إلا على نعمه فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : احدهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسداً فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها على المنعم عليه .

الثانية : أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن وتشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطه ، وقد تختفي باسم المنافسة .

والحسد فهو متشعب من الشح فالبخيل هو الذي يبخل بما في يده على غيره والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله وهي في خزائن قدرته .

٢. **الرياء :-**

فهو الشرك الخفي وهو أحد الشركين وذلك طلبك منزلة في قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه هلك أكثر الناس فما اهلك الناس إلا الناس .

٣. **رذيلة العجب والكبر والفخر :-**

فهو الداء العضال وهو في نظر العبد إلى نفسه بعين العزة والاستعظام والى غيره بعين الاحتقار ونتيجته على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال إبليس اللعين أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . وثمرته في المجالس الترفع .

والمتكبر هو الذي إن وعظ أنف أو وعظ عنف وكل من رأى نفسه خيراً من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر بل ينبغي لك أن تعلم أن الخير هو الخير عند الله في دار الآخرة وذلك عيب وهو موقوف على الخاتمة فاعتقادك في نفسك أنه خير من غيرك جهل محض .

تعقيب

وهكذا قد تبين لنا بعد استعراض آراء الغزالي في مفهوم الفلسفة الأخلاقية أنه جاء متسقاً تماً مع تعاليم الشريعة الإسلامية لأنه يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والآثار وأخبار السلف . وكانت نظرة الغزالي في الجانب الأخلاقي تهدف إلى تهذيب النفوس بالأخلاق الكريمة والواجبات الحسنة :

١. قسم الغزالي الأفعال الإنسانية إلى قسمين منها ما تتكرر مصلحته بتكرر الفعل والأفعال الصالحة الدالة على سبب المواهب الربانية وجزيل الفضائل التي تؤدي إلى مصلحة العبد وظهر ذلك من خلال تعريفه لعلم الأخلاق ، ومفهوم فلسفة الأخلاق وموضوعها وغايتها التي ترمي إلى تحقيق التمسك بالفضائل والسعادة عند الإنسان .
٢. تناول الغزالي دعائم الإلزام الخلقي ويسمي واجباً ومن شروطه التكليف ويجب على المكلف طاعة الله بفعله حتى يصل إلى الأخلاق الحميدة والسلوك الحسن .
٣. قسم المصادر الإلزام إلى الفطرة التي يولد عليها الإنسان ويستدل بالأدلة النقلية على ذلك ، ويفسر لنا معنى الهيئة الاجتماعية (العرف – العادة – التقاليد) وتسمى عنده بعلم الاجتماع الأخلاقي لأنها

مرتبطة بعلاقة الإنسان بالأخرين وأيضاً تناول قاعدة الثواب والعقاب وهي غاية جلب المصالح ودرع المفاسد ، وقاعدة حسن الشيء وقبحه وهي ما يلازم الطبع أو ينافره نحو العلم حسن والجهل قبيح .

٤. ومن دراسة الغزالي الموضوعية لمفهوم الأخلاق الحقيقية التي تعتمد على مصادر الإلـــزام يســـتنتج المسؤولية الأخلاقية وتصور حرية الإرادة عند الإنسان . ويوضح لنا علاقة الســـريرة (الضـــمير) بالمسؤولية حتى يصور المعنى الأصلي للعدالة في الحكم .

٥. ومن الجدير بالذكر بأن الإمام الغزالي ربط بين التصوف الإسلامي ومفهوم النفس الإنســـانية ويعتمـــد على الحدس القلبي – الإلهام – الذوق – المكاشفة ويستدل بآراء المتصوفين ويهتم بدراسة النفس لأنها تحدث الإنسان بالخير والشر لذلك قسم النفس إلى النفس الملهمة – النفس المطمئنة – النفس الأمـــارة بالسوء – النفس اللوامة وبين لنا كيفية ترويض النفس وتأديبها . وطبيعة كل نفس وصـــفاتها وعـــلاج النفس .

٦. من أهم الفضائل عند الغزالي فضيلة العلم ، فضيلة آداب القلوب ، فضيلة الصـــبر ، الألفـــة الرفـــق وغيرها من الفضائل وكذلك تحدث عن الرذائل وهي الحسد ، الرياء ، والعجب والكبر والفخر والجهل والغرور .

المصادر والمراجع

أولاً : مصنفات الغزالي :

١. الغزالي : إحياء علوم الدين ، جـ١ : ٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م .

٢. الغزالي بداية الهداية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ٢٠٠١م .

٣. الغزالي : القسطاس المستقيم ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١ م .

٤. الغزالي : ميزان العمل كيف هوامشه ، احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م .

٥. الغزالي : معيار العلم في فن المنطق ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

ثانياً : المصادر والمراجع :-

١. القرآن الكريم .

٢. ابن حزم الأندلسي : الأخلاق والسير رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل ، تحقيق انفا رياض ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .

٣. ابن عمر بن الطائي ، التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية وضع هوامشه خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .

٤. ابن عدي (يحي) تهذيب الأخلاق تعلم حاد حاتم ، دار المشرق – بيروت ، ١٩٨٥ م .

٥. ابن على (الحكيم الترمزي) أدب النفس ، تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

٦. ابن على (الحكيم الترمزي) رسالة كيفية السلوك إلى رب العالمين ، تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

٧. ابن مسكوبة ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق ابن الخطيب ، الطبعة الأولى ، د.ت .

٨. ابن صالح الجيلاني (الشيخ عبد القادر) المتوفى ٥٦١هـ ، الفنية لطالبي طريق الحق عز وجل في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية ، طبع حواشيه أبو عبد الرحمن صلاح بن عويصة ، جـ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .

٩. د. جمعة مصطفى الفيتوري ، الفوائد الرونقة في الفرقة بين أهل السنة والزندقة لعلي بن محمد الحسبي الأندلسي ، دار المزار الإسلامي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

١٠. دي يور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ١٩٥٤م .

١١. د. عبد اللطيف محمد العبد ، الأخلاق الإسلامية ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م .

١٢. أ. محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة عبد الصبور شـــاهين ، بيـــروت ، ١٩٧٣ م.
١٣. د. محمد يوسف موسى ، الأخلاق في الإسلام ، العصر الحديث ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١م .
١٤. د. محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ، دار الفكـــر العربـــي ، الطبعـــة الرابعـــة ، ١٩٩٣م.
١٥. د. هنية مفتاح القماطي ، الأخلاق والعرف ، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة قاريونس ، ١٩٩١ م.

ثالثاً : المعاجم :

١. . جميل حليبا ، المعجم الفلسفي ، الجز الأول ، دار الكتاب العالمي ، ١٩٩٤م .
٢. د. مراد وهبة وآخرين ، المعجم الفلسفي ، مطابع كوستاتيوماس ، القاهرة ، ١٩٦٦ف .

الجانب الألهي عند الغزالي

تمهيد

الحمد لله المنفرد بالإيجاد والإعدام ، المتوحد بالتأثير والإبداع وخلق الأعراض والأجسام ، المنزه عن الحلول والإتحاد بشيء غيره من جميع الأجرام ، المحيط علماً بالكليات والجزئيات ، المتصرف بالعلويات والسفليات ، المهيمن على جميع الجهات ، فلا حصر له تعالى بخاص ولا عام ، الذي تنزه عن التكيف والكم وعن الفرح والحزن والغم وعن الألم والذوق والشم .

وبعد

ان موضوع بحثنا (مفهوم أدلة وجود الله وصفة العلم الإلهي عند الغزالي) من الموضوعات الحية في الفكر الإسلامي ، فقد شغلت هذه المشكلة معظم فلاسفة الإسلام ، ولا نظن أن أحداً منهم لم يهتم بها ، أو يعيرها غايته وليس ثمة شك أن المشكلة المطروحة تتيح للباحث الوقوف على تاريخ الفكر الفلسفي منذ اليونان حتى فلاسفة الإسلام .

وقد انطلق الغزالي لإثبات صفة العلم الإلهي من خلال دراسته للوجود وحدوث العالم ، لأن البحث في الوجود هو المقدمة الطبيعية لحدوث العالم ، وصفه العلم الإلهي

واستخدم الغزالي الوجود بالمعنى الإسلامي مخالفاً للفلاسفة اليونانيين ، ففرق بين نوعين من الوجود : وجود لاعن أول وهو القديم عز وجل ووجود عن أول وهو العالم ، والموجودات منحصرة في الجواهر الأعراض فإن العقل إنما يجد في العالم جواهر وأعراض وصفات وموضوعات ولابد من وجود جهة للجوهر لأن الجهة دليل على التحيز وهي مرتبطة بالحركة إذن الله ليس بجوهر يتحير ولا جسم مؤلف من جواهر .

وحدوث العالم عند الغزالي مرتبط بصفة العلم الإلهي لأن القول بالحدوث إبطال قدم العالم عن طريق أن الزمان لا بداية له ولا نهاية ، وأن كل ما سوى الله تعالى محدث وكلمة سوى محتاج إلى قدرته وإرادته وعلمه القديم لأن علم الله تعالى محيط بكل شيء محيط بما لا يتناهى وعلم الإنسان محدث ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

والإمام الغزالي بعد أن برهن على وجود العالم وحدوثه ينتقل إلى إثبات صفة العلم الإلهي لكي يثبت أن الله محيط بكل شيء لذلك قسم الصفات إلى صفات معنوية وذاتية وسلبية وفعلية وأن كل صفة من صفات الله لها خاصية لا توجد لغيرها والهدف منها هو التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى ، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه .

ومن أهم الصفات : الإرادة – القدرة – السمع – البصر – الحياة – العلم ، ويستعمل دليل الشاهد على الغائب ليوضح هذه الصفات ، وعند استعماله لبرهان الشاهد على الغائب يجعل له شروطاً وأحكاماً ليبين ما يجب معرفته من الصفات لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل عليه ، ولذلك خالف آراء المعتزلة لاستعمالهم الدليل العقلي فقط لاثباتهم الأحكام لله دون الصفات ، وبرهن الغزالي على ذلك من خلال الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

قصدنا بهذه المقدمة عن الغزالي وإثبات صفة العلم الإلهي إلى إلقاء نظرة على حياته وأعماله باعتباره فيلسوف إسلامي ليتيسر للقارئ الكريم فهم شخصيته وآرائه ومنهجه في تقويم الدين وإظهار عظمة الخالق في مخلوقاته بمنهجية واضحة سليمة ، وإن مسلك الغزالي في كتاب التهافت قائم في معظمه على التشكيك والنقد .

مهدنا لهذا البحث بمقدمة تناولنا فيها المنهج المقارن والمنهج النقدي عند الغزالي لإثبات مفهوم صفة العلم الإلهي ، وكذلك موقفه من الفرق الكلامية وتهافته من الفلاسفة وأيضاً تمهيده لدراسة الوجود وحدوث العالم لإثبات صفة العلم الإلهي وتقسيمة الصفات إلى سبع صفات ، ثم عرضنا خصائص الصفات وتحدثنا عن نقد الغزالي الشديد إلى أفلاطون وأرسطو واختتمنا المقدمة بأن الغزالي أثبت صفة العلم الإلهي عن طريق الأدلة النقلية وهي القرآن والسنة ، وكذلك أدلة وجود الله .

ولا ينكر أحد أثر البيئة الخاصة والبيئة العامة ومؤلفات الفيلسوف في سير فلسفته الكلامية والفلسفية والدليل على ذلك أن البيئة تؤثر في الفرد أكبر من تأثير الفرد في المجتمع وأن فلسفته مستمدة من مؤلفاته ، نسأل الله أن ينفعنا بعلمه وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين من تراث إسلامي أصيل .

المبحث الأول : حياة ومؤلفات الإمام الغزالي :-

هو الشيخ الحجة العلامة الفقيه الأصولي الفلسفي المنطقي الصوفي المشارك في كثير من العلوم الشرعية والعقلية واسمه الحقيقي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) وتوفى يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ - ١١١١م) بالطابران ودفن بطاهر الطابران وهي قصبة طوس ولم يعقِّب إلا البنات .

ويقول ابن خلدون في مقدمته (فلسفة التاريخ) التاريخ ولد حيثما ولد الإنسان بمعنى أن التاريخ يحدد العصر الذي عاش فيه الفيلسوف لأن لكل عصر سمات وخصائص بمعنى أن الغزالي عاش في القرن الرابع الهجري وأدرك مطلع الخامس الهجري وتعتبر مشكلة علم الله بالكليات أم الجزئيات من المشاكل العميقة التي شغلت الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي عاش فيه الغزالي ولا نعتقد أن أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات الفلسفية قد غفلت عن هذا الجانب ، والقرن الرابع الهجري يتميز بالصراعات والجدل بين الفرق الكلامية بوجه عام ، وموقف الغزالي في هذا العصر يذهب في محاولة استيعاب المنطق داخل الفكر السني إلى حد القول أنه هو نفسه (القسطاس المستقيم) الذي عرض به القرآن العقيدة الإسلامية ورد به على المجادلين الكفار ليثبت صفة العلم الإلهي التي تشمل الكليات والجزئيات كما هو واضح في كتابه (تهافت الفلاسفة) .

وقد قسم الغزالي كتبه قسمين : قسم سماه (المضنون بها على غير أهلها) وقد ادخر محتيات هذا القسم لنفسه ، وقسم قدمه للجمهور واعتبره خاصاً بهم لائقاً بمستواهم العقلي :

المبحث الثاني:-

أهم مصنفاته :-

أولاً : في* الفقه وأصول* الفقه *:-

- التعليقة من فروع المذهب .
- البسيط في الفروع ، وهو كالمختصر للنهاية والوسيط ملخص منه وزاد فيه أموراً في الإبانة للنوراني .
- خلاصة المختصر – للمزنى – ونقاوة المعتصر .
- مآخذ الخلاف بين الحنفية والشافعية .
- تحصين المآخذ في علم الخلاف .
- المستصفى من علم الأصول .
- المنخول في الأصول .
- شفاء الغليل في القياس والتعليل .
- تهذيب الأصول .
- أساس القياس ، لأن القياس في اللغة عبارة عن تقدير ومنه يقال قست الأرض وفي اصطلاح الأصولين فهو منقسم إلى قياس العكس وقياس الطرد

ثانياً : مؤلفاته في المنطق والمناهج والجدال والبحث والمناظرة والفلسفة :-

- لباب النظر .
- المنتحل في علم الجدل ، وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين الكل المذاهب الفقهية.
- معيار العلم ، في فن المنطق والغرض منه تفهيم طرق الفكر والنظر والإطلاع على ما أودعناه كتاب تهافت الفلاسفة .
- القسطاس المستقيم ، قسم الناس ثلاثة أصناف (عوام – خواص – الجدل).

ثالثاً : في العقائد والردود على المخالفين :-

- مقاصد الفلاسفة .
- المستظهري في الرد على الباطنية* .
- قواصم الباطنية .

---

* الفقه : والفقه في الإصلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال ، القرافي : مختصر تنقيح الفصول في الأصول ص٤١ .

* ويقول الفارابي في كتابة الملة (صناعة الفقه هي التي بها يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شيء ما لم يصرح واضح الشريعة بتحديده عن الأشياء التي صرح فيها بالتحدير والتقدير وأن يتحرى تصحيح ذلك على حسب غرض واضح الشريعة بالملة التي شرعها في الأمة التي لها شيء (أبو نصر الفارابي – كتاب الملة – دار المشرق – بيروت تحقيق محسن مهدي ط٢ سنة ٢٠٠١ م .

* أصول : جمع أصل يطلق هذا اللفظ على مصطلحات مختلفة أشهرها تدل على ثلاثة فروع للعلوم الإسلامية وهي أصول الدين وأصول الحديث وأصول الفقه وعلم أصول الدين مرادف الكلام أما علم أصول الفقه في تصنيف العلوم الإسلامية بأنه العلم بقواعد الفقه الإسلامي باعتبار أنه العلم بالأدلة التي تؤدي إلى تقرير الأحكام الشرعية (دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني – دار المعرفة بيروت ص ٢٦٥ .

* الباطنية : اطلقوها على الإسماعيلية لأنهم يقولون بالباطن والظاهر .

- الاقتصاد في الاعتقاد ، ويقول فيه ومن العلوم ما يعنـــي بمحاجـــة الكفـــار ومجـــادلتهم (طبقـــة المتعلمون) .
- المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسنى ، لا سيما في الأسماء المشتقة من الأفعال.
- الأربعون في أصول الدين .
- تهافت الفلاسفة ، والغرض منه إثبات أن العقل قاصر عن إدراك حقائق الأمور الإلهية .
- القانون الكلي في التأويل .
- الجام العوام عن علم الكلام [*].
- الرد الجميل على صريح الإنجيل .

رابعاً : في التصوف [*] والمواعظ وغير ذلك :-

- ميزان العمل .
- إحياء علوم الدين ، وهو الأعجوبة العظيمة الشأن ويشمل العبادات والعادات وغيرها .
- بداية الهداية وهو في التصوف الإسلامي ويقول فيه أن الدين شطران ترك المناهي وقفل الطاعات.
- جواهر القرآن ، وحرام على من يقع ذلك الكتاب في يده أن يظهره إلا على مـــن اســـتجمع هـــذه الصفات (علم التراث – الصفات – الأفعال – علم المعاد) ..
- أيها الولد .
- الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة .
- الروح .
- كيمياء السعادة .
- مشكاة الأنوار .
- منهاج العابدين .

مكانته العلمية :-

مما سبق يتضح لنا أن شخصية الغزالي متعددة الجوانب وقد كتب في مختلف المجالات فكان الغزالي فيلسوفاً ومتكلماً وصوفياً ومفسراً ومعلماً وإذا قيست كل كتاباته التي أثرى بها الفكر الإسلامي بالقياس إلى ما

---

[*] أما مقصود علم الكلام – كما حكى الغزالي – فهو حفظ العقيدة على إنسان نشأ مسلماً وأخذ عقيدته من الكتاب والسنة ، ومن الشكوك التي تثار حولها والطعون التي تواجه إليها ، وقد يسمى علم الكلام ، إما لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى ، هي أن كلام الله المتلو حادث أو قديم وإما لأن مبناه الدليل العقلي وأثره يظهر من كل متكلم في كلامه ، وقلما يرجع فيه إلى النقل اللهم إلا بعد تقرير الأصول الأولى ، ثم الإنتقال منها إلى ما هو أشبه بالفرع عنها وإن كان أصلاً لما يأتي بعدها ، وإما لأنه في بيان طرق الإستدلال على أصول الدين أشبه بالمنطق في تبيينه مالك الحجة في علوم أهل النظر وأبدل المنطق بالكلام للتفرقة بينهما . (رسالة التوحيد – الإمام محمد عبده – القاهرة ص ٧ – ٨) .

[*] التصوف : الصوفي من اتبع طريقة التصوف واتسم بسمات أصحابها وأشهر الآراء في تسميته أنه سمي بذلك لأنه يفضل لبس الصوف تقشفاً وقيل أيضاً أنه اسمه مأخوذ من الصفاء لأنه هو الذي يصفو قلبه بكف النفس عن الهوى والاستغراق بالكلية في ذكر الله وللصوفي عدة تعريفات (أن الصوفي هو الذي صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عن الذهب والمدر والحرير والوبر) (المعجم الفلسفي د. جميل حليبا ط ص٧٤٧ دار الكتاب العالمي سنة ١٤١٤ – ١٩٩٤ ، الغزالي (أقام بناء مذهب صوفي لطف فيه من القول بوحدة الوجود أو هو قضى عليه قضاءً تاماً وجعل كشف أهل التصوف مصدراً من مصادر علم الكلام الإسلامي إلى جانب العقل والنقل) (دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني ص٥٨٠ .

عجز في هذه الحياة لتبين أنها كم كبير . فلم يعمر الغزالي إلا حوالي خمسة وخمسين عاماً (٤٥٠ هـ – ٥٠٥م) وذهب البعض يقول لو وزعت مؤلفاته على سنوات عمره لكان تأليفه في اليوم أربعة كراريس ، وهذه إيماءة تدل على أن الرجل نذر حياته للفكر والعلم *يقول عنه هنري كوربان هو دون شك كان من أعظم الشخصيات الروحية في الإسلام .

*يقول ابكر العربي رأيت الإمام الغزالي في البرية وبيده عكازه . وقد كنت رأيته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم .

هنالك وتشابه الغزالي وديكارت في أمر المعرفة وموقف العقل من الوحي .

ونظرا لمؤلفاته الغزيرة ألف الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاباً أسماه (مؤلفات الغزالي) .

*منهجه الفلسفي

أما إذا انتقلنا إلى منهجه في التفلسف من خلال مفهوم صفة العلم الإلهي فنقول أن الغزالي كان ينشر فلسفة خادمة للدين لا ديناً خادماً للفلسفة وبعبارة أخرى أن الحقيقة عنده توزن بالشرع لأن العقل في رأيه ما لم يهتد على نور وبصيرة الشرع لتعثر وضل الطريق وسوف نعرض بعض النماذج من فلسفته حتى نستطيع أن نعرف الإيدلوجي الذي يحكم هذه الفلسفة الغزالية ، ونستطيع أن نلتمس النهج الغزالي في أدلته على وجود الله مثل دليل التمانع ودليل العناية الإلهية لإثبات صفة العلم الإلهي ، ولما أراد الغزالي حجة الإسلام وممثل أهل السنة والجماعة أن بها جم الفلسفة والفلاسفة لم يجد أمامه سوى ابن سينا فكتب في دحض مذهبه كتابه المشهور (تهافت الفلاسفة) .

***مفهوم أدلة وجود الله عند الغزالي :**

قبل أن يتحدث الغزالي عن ادلة وجود الله يبين لنا معنى الألوهية لكي يثبت أن علم الله محيط بكل شيء وأنه يعلم الكليات والجزئيات .

معنى الألوهية* عند الغزالي : استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه فدخل تحت الإستغناء ثمانية وعشرون عقيدة : الوجود ، القدم ، البقاء ،

*صفات الله تعالى:-

والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ووجوب السمع والبصر والكلام ولوازمها هي : يكون سميعاً بصيراً متكلماً وتنزهه عن الغرض وأفعاله وأحكامه وعن وجوب شيء عليه ، قيل أن الله تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبه الحيز .

*وجود الله تعالى:-

وينبه الإمام الغزالي المؤمنين بمعرفة الله سبحانه وتعالى وأن أجلى الموجودات هو الله سبحانه وتعالى حيث يقول في كتابه إحياء علوم الدين : أعلم أن اظهر الموجودات وأجلاها هو الله ، وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الإفهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلابد من

* الألوهية : هي صفة المؤلَّه أو ماهية كنه الذات الإلهية وهي عند الصوفية اسم مرتبة جامعة المراتب الأسماء والصفات كلها ، أو اسم لجميع حقائق الوجود وحفظها في مراتبها وإذا أضيف لفظ الألوهية إلى الشيء دل على تأليه ذلك الشيء . (المعجم الفلسفس ، د. جميل صليا ، ص١٢٩)

بيان السبب فيه ، وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلها لمعنى لا تفهمه إلا بمثال وهو أن إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة .

*كيف تدرك وجود الله عند الغزالي :-

ووجود الله عند الغزالي ندركه بالحواس الظاهرة من خلال مخلوقاته في الأرض والسماء حيث يقول : ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائرصفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبخار ونار وهواء وجوهر وعرض ، مما سبق يتضح لنا أن الغزالي يربط بين صفة العلم لله وقياس الشاهد في الكون وذلك من خلال الحواس الظاهرة والباطنة ، ونجد في كتابه أسرار المخلوقات كل هذا .

ومن أهم الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى عند الإمام الغزالي ما يلي :-

أولاً : دليل التمانع :

ويبرهن الغزالي على ذلك من خلال الآيات القرآنية فيقول (قلت هذا الميزان مستفاد من قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) سورة النساء آية ٢١ / ٢٢ ، وهذا الدليل يفيد وحدانية الله * في علمه المحيط بكل صغيرة وكبيرة ومن قوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) الأنبياء آية ٢١ ،

*أهمية دليل التمايع في البرهنة علي وجود الله عند الغزالي :-

وقوله تعالى (لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً) الإسراء ١٧ ، وأن الله عز وجل واحد لا شريك له ، فرد لا ند له المنفرد بالخلق والإبداع .

وتحقيق صورة هذا الميزان تقول (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) فهذا أصل ومعلوم أنهما لم تفسدا وهذا أصل آخر ، فيلزم منهما نتيجة ضرورية وهي نفي الإلهين ولو كان مع ذي العرش آلهة : لا تبتغوا إلى ذي العرش سبيلا ومعلوم أنهم لم يبتغوا فيلزم آلهة سوى ذي العرش ، أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً .

*ويؤكد الغزالي على دليل التمانع لكي يثبت صفة العلم الإلهي التي تتميز بالشمولية والكلية وأنها محيطة بكل شيء ولا يشارك الله أحد فيها من البشر وأن علم الله سبحانه وتعالى مختلف عن علم البشر لأنها تتميز بالكمال والبعد عن النقصان وليس كمثله شيء ، ولقوله تعالى (وهو معكم) يعني بالعلم وبكل شيء محيط إحاطة العلم .

يقول الغزالي : فإن مدير الملك والملكوت واحد* لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية وعلمه مطردة لا بتبديل لها .

---

* وحدانية الله : صفة لما هو أوحد ، فيقال وحدانية الله وهي غير الوحدانية التي تعني عدم انقسام الموجود في ذاته ، وانفصاله عما سواه ، بينما الوحدانية تعني عدم وجود نظير أو شبيه أو مثل (المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين ، ص١٨٦ القاهرة ، ١٩٦٦ م .

* وحدانية : القول بأن ليس يوجد ، وليس يمكن أن يوجد سوى إله واحد أو وحداني في مقابل تعدد الآلهة وفي مقابل ثنائية وفي مقابل احادية ذلك أن الوحدانية تقرر أن الله عله مفارقة أي أنه كائن شخص الكون في حاجة إليه لكي يوجد أما هو فليس في حاجة إلى أحد (المصدر سابق ص١٨٩) ، د. جميل صليا ، المعجم الفلسفي ، ص ٢٦ ط .

ويقول الإمام الغزالي : أما وجود الله فهو واجب غير مستفاد والقيومية لله وحده ، وهذا هو المعنى الباطن للنهي عن التشبيه هو ينهى عن التشبيه المادي ولكنه أفسح مجالاً للتأويلات الصوفية و يتحدث الغزالي في كتاب آخر له (إلجام العوام عن علم الكلام) ص٤٧ وما بعدها يبين ما لتنزيه في وصف الله من خطر يؤدي بالعامة إلى الالحاد وما في استعمال الألفاظ المشتركة وضروب التمثيل من خطر يجرهم إلى التشبه ، وعندنا ومعنا ومحيطا بالعالم محدقاً بالذات في حالة واحدة والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة بكل مكان .

ثانياً : العناية الإلهية :-

بعد أن تحدث الغزالي عن دليل التمانع وأثبت أن الله سبحانه وتعالى لا شريك له وأن علمه وصفاته لا يشاركه احدا فيها ، واحاطته بكل شيء وعلمه قديم أزلي يتميز بالكمال وعلم الإنسان يتميز بالجزيئيات فقط لأن العقل إنما يدرك الأشياء من جهة أسبابها فقط ثم بعد ذلك يتحدث عن المخلوقات لكي يبين أن العالم محكم في ضقته مرتب في خلقه ويبرهن الغزالي ويثبت دليل العناية الإلهية من خلال مخلوقات الله عز وجل وعنايته بمخلوقاته حيث يقول (وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده.

وهذا النظام السائد إذاً بين الكائنات يحتاج إلى منظم عالم خبير بكل شيء وهو الله سبحانه وتعالى وإن مبدأ العناية الإلهية يفسر كيف يجري التكيف الإلهي بما يتناسب وقدرة الإنسان ، وتسخير المخلوقات لمنفعة الإنسان يقول الغزالي : فقد خلق سبحانه فيها الأرض والجبال لمنافع متعددة لا يحيط بجميعها إلا الله . ومع سعة قدرته وعلمه *وشمول نعمته كما جعل هذه السعة في المياه وما ذلك لما سبق في علمه لخلائقه مما هو الأصلح .

كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) الحجر آية ٢١ . إذ العناية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير ، وعلة لذاته للخير والكمال بحسب ، ويعقل نظام الخير على الوجه الذي بلغ فيه ، بلغ في

*ويقول الغزالي في كتابه أسرار الحكمة في مخلوقات الله ، باب في حكمة خلق البحر وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بادئها معربة عن كمال قدرته وعلمه وعجائب حكمته قائلة أما ترى تصديري وتركيبي وصفائي زمناً واختلاف حالي وكثرة فوائدي أيظن ذولب سليم وعقل رصين أني تكونت بنفسي أو أبدعني أحد من جنسي بل ذلك صنع القادر القهار عالم الغيب والشهادة العزيز الجبار .

---

* علمه (علم إلهي) : العلم الإلهي لا ينقسم وليس يذهب من فكرة إلى أخرى ، ولكن الله يرى جميع الأشياء التي يعرفها حاضرة معاً بحدس واحد غير جسمي ، إذا استبعدنا من المعرفة الإنسانية كل تعاقب وتركنا لها فقط قوة الحقيقة اليقينية أي القوة التي بتأمل واحد سرمدي تنفذ إلى الأشياء جميعاً ، فخينئذ نحصل بوجه ما على تصور ما للعلم الإلهي (المعجم الفلسفس يوسف كرم وآخرين ص١١٤) .

ومن الجدير بالذكر بأن الغزالي ربط بين العناية الإلهية * **وصفة العلم الإلهي** بمعنى أن الله سبحانه وتعالى عندما صنع العالم وتدبيره له ما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وإن دل على شيء فإنما يدل على كمال علمه ، وهو عالم الغيب والشهادة أي أن هناك أشياء لم يطلع عليها أي إنسان إلا الله سبحانه وتعالى وعالم الشهادة من أسرار حكمته وعلمه في صنع ملكوت السموات والأرض عبرة لأولى الأبصار **حيث يقول** : فجعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولى الأبصار وآيات بينات على عظمته وجلاله علمه بتقديرها وتصويرها ، وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه فإذا وحدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء فما ظنك بصنعته في ملكوت السماوات والأرض وشمسها وقمرها وكواكبها وحكمته في أقدارها وأشكالها وأوضاعها .

ويوضح لنا الغزالي بأن عناية الله سبحانه وتعالى بالمخلوقات تشهد بكمال العلم لله **وتأثر ديكارت*** **الفيلسوف الفرنسي بذلك حيث يقول** : الله هو الموجود المطلق الكمال الذي لا يمكن أن ينقصه كمال ما) .

ويقول كذلك (إن طبيعة لها بذاتها جميع الكمالات التي أستطيع أن أتصورها هي في كلمة واحد الله).

***دليل الممكن والواجب :-**

أما المفسرون فقسموا الموجود إلى ممكن وواجب وقالوا إن الكائنات كلها ممكنة الوجود أما الله فهو وحده (واجب الوجود) وعلى هذا يمكن أن تطلق صفة العدم على الكائنات لأن قبولها للفساد يجعل مصيرها إليه .

***صنع الله اتقانه للأشياء :-**

يقول الغزالي : إن هذه الصفة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبر والعناية الإلهية وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال **وكذلك** ما من شيء إلا وهو محتاج إلى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ، وكمال العلم عند الغزالي إلى أي علمه القديم فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ، وأن إرادته قديمة على وفق سبق العلم الأزلي .

ثالثاً : دليل الإختراع :

يقول الغزالي في كتابه قواعد العقائد . وأنه متفضل بالخلق والإختراع وأن الله تعالى لايكلف ما لايطاق ، أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتفكر فيه عقول ذوي الألباب ، ومن يتعلم تشريح أعضاء الحيوان يرى عجائب صنع الله وبدائع حكمته.

---

* العناية الإلهية : بقول يوسف كرم : ليس العناية مجرد إحاطة علم بالكل ، ولكنها توجيه فعال إلى غاية وتوفيق فعال إلى الأفعال ولا سيما بالنسبة إلى الإنسان الكائن العقل الحر .

– وعناية الله على نحوين : عناية عامة وهي رسم برنامج للعالم وتعيين غاية له بالإجمال .

– وعناية خاصة وهي اهتمام الله بالأفراد كل فرد على حدة

ويقول الاسكندر الأفروديسي إن قول من يقول إن العناية تقع بالجزئيات كلها قول في نهاية الخطأ .

* ديكارت : ولد سنة ١٥٩٦ في ضواحي مدينة تور الفرنسية وتوفى سنة ١٦٥٠ ومن مؤلفاته تدبير العقل أو قواعد هداية العقل – مبادئ الفلسفة – في الطبيعيات والرياضيات . يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة – دار القلم – بيروت ص ٥٨ .

صنع العالم عن طريق الاختراع :-

ويؤكد الغزالي على دقة صنع العالم عن طريق الإختراع* حيث يقول : فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمه بتفصيل ما يصدر منها من الإكتساب ؟

وأن الله سبحانه وتعالى مدبر حركات العباد بعلمه المحيط بكل شيء فيقول إن إنفراد سبحانه وتعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقرورة للعباد وعلى سبيل الإكتساب ، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وأنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق بعد عنه باكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون **الاختراع فقط** إذ قدرة الله تعالى وعلمه في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلاً بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق فيه يظهر أن يتعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها .

ويؤكد ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة على دليل الاختراع فيقول (وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فيصبح من هذين الأصلين أن للوجود فاعلاً مخترعاً له .. ولذلك كان واجباً على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع) .

إذن وضع العالم واختراع الأشياء يعتبر من العلوم الهامة التي يجب على الإنسان إدراكها ويستنتج بأن وراء هذا العالم صانع عالم بكل شيء وهو الله سبحانه وتعالى : **حيث يقول الغزالي** : في كتابه إحياء علوم الدين وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق *ورزق وعطاء ومنع وحياة* وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد وبإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه .

ومن أدلة الله في الوجود أن العالم منظم ومنسق بقدرته الإلهية واختراعه وعلمه لخلق العالم يقول الغزالي : فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده يخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب .

***ادلة الغزالي من السنة علي وجود الله :-**

ويستدل الإمام الغزالي بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : كان سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" يقول إن الله عالم فيجب أن تكون له صفة العلم ولكن بم يتعلق العلم ؟

---

* لفظ الاختراع : ولفظ الاختراع يذكرنا هو الىخر بلفظ الإبداع الذي ردده من قبل الفارابي وابن سينا فعولوا على الدليل الكوني الذي يحاول أن يثبت وجود الله عن طريق الكون ، د. إبراهيم مدكور – الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه – ص٧٩ – دار المعارف – سنة ١٩٧٦ .

والاختراع معناها الإبداع في الفعل الإنساني (د. بدوي طبانه مصحح البلاغة العربية المجلد الأول – ص٦٨ – منشورات جامعة طرابل الطبعة الأولى – ١٢٩٠ هـ – ١٩٧٥ م .

* (وقد علم أن الفاعل هو المحدث للشيء وأنه متى استعمل على غير هذا الوجه كان مجازاً وكذلك الخلق هو إحداث الشيء ومقداراً) . القاضي عبد الجبار المغني – الجزء الثامن المخلوق ص٢٥٧ تحقيق د. توفيق الطويل – الدار المصرية للتأليف والترجمة – سنة ١٩٦٢ م.

* الحياة : هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر التعريفات الجرجاني ص٨٤ الناشر مصطفى الحلبي سنة ١٢٥٧ – ١٩٢٨ م .

الشيء في ذات الله أم بشيء غير ذاته ؟ إن كانت الأولى ففي ذاته تعدد وإن كانت الثانية فعلمه متعلق بشيء غير ذاته فلا يكون علماً واجباً فلا يكون مالك الصفة واجب الوجود ، وبين أن إثبات الوحدانية *لله وقيامه *بذاته ينافي وصفه بصفات الإيجاب ، ومعنى الإيجاب في الفقه الإثبات يقال وجب الشيء وجوباً ثبت ولزم وأوجبته إيجاباً وأوجب الشيء صيره واجباً والإيجاب عن الفلاسفة هو إيقاع النسبة وإيجابها في الجملة هو الحكم بوجود محمول الموضوع (ابن سينا النجاة ص ١٨) .

بعد أن تحدثنا عن أدلة وبراهين وجود الله سبحانه وتعالى وأثبتنا بأن الله موجود في كل مكان وذلك من خلال مصنفات الغزالي الفلسفية والدينية وبرهن على وجود الله من خلال دليل التمانع ودليل العناية الإلهيـــة ودليل الاختراع وكان أسلوبه واضح وجليل لتميزه بالفصاحة والفلسفة ويعتمد على نزعته النقدية الفلسفيـــة ، وبين لنا الغزالي بأن العلاقة وثيقة الصلة بين وجود الله وصفة العلم الإلهي بعد ذلك تحدث الإمام الغزالي عن حدوث العالم وصلته بالعلم الإلهي وأثبت بأن صفة علم الله* أزلية والعالم حادث ولا يصح أن يرتبط المعلول بالعلة والموجودات كلها ممكنة لله سبحانه وتعالى ودليل الإمكان يدل على حدوث العالم ، وإن كـــان العـــالم حادثاً فله محدث فتلزم منه نتيجة وهو أن له محدثاً بالضرورة .

حدوث العالم عند الغزالي :-

سوف نتحدث عن مشكلة حدوث العالم عند الغزالي من خلال مصنفاته الفلسفية والدينية وبالرغم مـــن عدم وجود مؤلفات مستقلة له في الفلسفة ولا سيما في حدوث العالم إلا أننا وجدنا عنده آراء فلسفية تعبر عن حدوث العالم وصلته بمفهوم العلم الإلهي ، وقد استخدم الغزالي لإثبات حدوث العالم مفهوم الجوهر والعرض وكذلك المفاهيم الصحيحة لمدلول الزمان ووضح لنا بأن الزمان محدث وليس بقديم والله ليس متحيز ومنـــزه عن الجسمية ويتصف بالقدم وعدم الحدوث ، وكل جسم مؤلف وكل مؤلف حادث فيلزم منه أن كـــل جســـم حادث .

والحدوث عند الغزالي عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه أما الحدوث الذاتي وهو كون الشيء مفتقـــراً في وجوده إلى الغير ، وعندما ألف الغزالي كتاب المنقذ من الضلال شرح ذلك بالتفصيل .

---

* الوحدانية : التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينبغي عنه ، وعن الرسل لإثبات رسالتهم ، وأصل معنى التوحيد : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له ، ويسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون (رسالة التوحيد – الشيخ محمد عبده ص ٧ – دار النهضة للطباعة سنة ١٩٦٩ م.

* قيامه بذاته : يقال على واجب الوجود فهو الحق بذاته الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم ، ابن سينا الإشارات والتنبيهات ص١٤٠ .

– قيومية : تعني قيام الوجود بذاته أو وجوب وجوده وهذه الصفة خاصة بالله وحده لا يشاركه فيها كائن (المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين ص ١٢٢ ، ١٢٤) .

* علم الله أزلي :- شاهد حاضر وحفيظ عالم ، لا يغيب عنه شيء فعلى هذا هو من صفاته الأزلية التي استحقها لأجل علمه القديم ولـــم يـــزل شـــهيداً ، مصداقاً لقوله تعالى (فعلمه أحاط بالمعلومات كلها ، فعلى هذا التأويل يكون المحيط من أوصافه الأزلية ، لأنه لم يزل عالماً بالمعلومات كلها ودليل هـــذه الإحاطة قوله تعالى (وما يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السموات) .

وينقد الفلاسفة اليونانيين لقولهم بأن الجوهر والعرض غير متلازمان ولكن يقول الغزالي بأن الجوهر والعرض* متلازمان لا يتغيران أبداً ثم بعد ذلك يحدد خصائص كل من الجوهر والعرض ليصل إلى أن الجوهر متحيز ، فلا يدله من جسم وبين لنا بأن الزمان محدث وليس بقديم ، وأثبت بأن الله سبحانه وتعالى – ذاته – قدمه وعلمه قديم وأنه غني عن الألوان والروائح والطعوم ومنزه عن المكان والجهة ويؤكد الفيلسوف اليوناني أرسطو * على قدم العالم لأنه تحدث عن حركة الأفلاك في الكون بأنها حركة دائرية ليس لها بداية ولا نهاية وكل ما ليس له بداية أو نهاية فهو أزلي .

ويقول د. جميل صليبا في كتابه تاريخ الفلسفة العربية عن قدم العالم عند أرسطو (وإذا علمنا أن كل متحرك فهو متحرك بشيء آخر إما مباشرة وإما بواسطة وجب في كلا الحالتين أن ينتهي تسلسل الحركات إلى محرك أول يحرك الأشياء ولا يتحرك معها ومعنى ذلك كله أن الحركة أزلية لأن المحرك الأزلي أبدي *وهو العلة الأولى التي تحرك كل شيء وهو الموجود الدائم الثابت وهو الله.

ويستخدم الغزالي المنهج النقدي لنقد فلسفة أرسطو القائلة بقدم العالم وبالأخص في كتابه تهافت الفلاسفة تقول دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول (وكان فلاسفة الإسلام الآخرون بفلسفة أرسطو منذ عصر الكندي وما بعده يعتمدون في فلسفتهم على روايات تتفاوت صحة واضطراباً ، وقد أنكر المسلمون على هذه الفلسفة وما فيها من زندقة وذلك لتعارضها مع عقيدتهم في ثلاث مسائل هي : خلق العالم والعناية الإلهية وبعث الأجسام ولعل الغزالي في كتابه (التهافت) هو أبلغ من كتب في نقص هذه الفلسفة في أسبابها ، ويقول الغزالي : (ثم المترجمون لكلام (إيطاليين) لم ينفك كلا منهم عن تحريف وتبديل .

وعندما نقد الغزالي الفيلسوف اليوناني أرسطو يعرف لنا أولاً معنى حد الحادث فيقول : قيل في حد الحادث * أنه الذي ليس بقديم فهو هوس كقول القائل القديم الذي ليس بحادث فهو الضد ويدور الأمر فيه وقيل أنه الذي تتعلق به القدرة القديمة وهو ذكر لازم غامض لم يدرك إلا بالأدلة وأما الحادث فمفهوم جلي بغير نظير واستدلال ومن الضلال البعيد بيان الجلي بالغامض ويستدل الغزالي على حدوث العالم من خلال القرآن الكريم باعتباره فيلسوف إسلامي فيقول : نص في القرآن الكريم في آيات كثيرة على أن الله قد خلق

---

* الجوهر والعرض :– هو ما سوى الله تعالى من الموجودات جواهر كانت أو أعراضاً ، فالجوهر ما له من قيام بذاته بمعنى أنه لا يقتصر إلى محل يقوم به ، وقد يعبر بعضهم بدل الجواهر بالأجسام وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً أو جسماً إذ الحيز مختص بالجوهر والجسم . وأما العرض فلا إختصاص له بالحيز إلا بواسطة كونه حالاً في الجوهر فهو تابع لاختصاص الجوهر .

* أرسطو : فيلسوف يوناني وسمي المعلم الأول ولد في عام ٢٨٤ ق.م في مدينة ايطا نمو بشبه جزيرة خلقدونية وكان أبوه بنقوماخوس طبيباً لامتاس الثاني ملك مقدونيا ، وأقام أرسطو بمدينة أسوس وظل ملازماً لاسكندر حتى توليه الحكم عام ٢٢٥ ق.م وله مؤلفات منطقية وطبيعية مثل الحس والمحسوس ، الكون والفساد والآثار العلوية وفي الأخلاق والسياسة (الفلسفة عند اليونان ، د. أميره حلمي مطر ص ٢٤٢ : ٢٤٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ م .

* أبدي : الأبد في اللغة الدهر والدائم والقديم والأزلي والجمع آباد وأبود وهو في الاصطلاح الذي ليس ابتداء ولا انتهاء أو المدة التي يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل أو الشيء الذي لا نهاية له ، (المعجم الفلسفي د. جميل صيلبا الجزء الأول ص٢٩ دار الكتاب العالمي سنة ١٩٩٤ ١٤١٤ هـ .

* الحادث : (اسم مشترك بين الحادث بحسب الذات والحادث بحسب الزمان . فالحادث بحسب الزمان هو الذي الزمان وحده ابتداءً وبحسب الذات هو الذي لذاته مبدأ هي به موجودة . (الكائن بعد أن لم يكن) معيار العلوم في مقابلة (ضرورة امتناع) (المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين ص ٦٠) .

*كل شيء ووضعه من أجل ذلك بأنه الخالق أو الخلاّق لقوله تعالى ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الأنعام آية ١٥٢ .

ولقوله تعالى* ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام الآية ١٥١ .

وعلم الله أزلي واجبة الوجود يقول الغزالي : أنه يستحيل أن يكون المعلوم علة للعلم – فلأن الله تعالى – صفة أزلية واجبة الوجود وما كان كذلك يستحيل أن يكون معلول علة إذن صفة علم الله أزلية والعالم حادث ، والأزلي الابتداء لوجود كما أنه تعالى كان عالماً في الأزل .

وبهذا يخالف الغزالي أرسطو لأنه يقول بأن الهيولي أزلية أبدية ، ولو كانت الهيولي حادثة تحدثت عن موضوع ولكنها هي موضوع تحدثه عن الأشياء وبحيث يلزم أن توجد قبل أن تحدث .

ومن أدلة حدوث العالم عند الغزالي هي ما يأتي :-

١. أبطال القول بقدم العالم وأحكام صفة الحدوث .
٢. عن طريق أن الله يعلم أن الجزئيات والكليات .
٣. أن الحادث قد ثبت حاجته إلى محدث .
٤. أبطال اللانهائية في الحدوث فإن العالم متناه واثبات صفة الجثمانية للحدوث .
٥. وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فالله قائم وقيوم وموجد .

ويجب أن نعلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عاده مخلوقة له ، تصديقاً لقوله تعالى ﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ سورة الزمر آية ٦٢ ويتحدث الغزالي عن ماهية حدوث العالم بأنه خلق من العدم المحض (التساوي في الزمان والمكان فإنك تقول العالم حادث ، العالم ليس بحادث وهما صادقان ولكنه حادث عند أول حدوثه وليس بحادث قبله ولا بعده بل قبله معدوم وبعده باق وهو العدم المحض ، ومن صفات العدم المحض : لا يوصف بأنه قديم ولا حادث ولا مشاهد ولا غائب .

المنهج النقدي عند الغزالي واستخدامه في نقد الأدلة الفلاسفة القائلين بقدم العالم :-

وقد تحدث الغزالي في المسألة رقم عشرة (إبطال قولهم : في أبدية العالم والزمان والحركة) .

مما سبق يتضح لنا أن الغزالي يقول بحدوث العالم وأنه مخلوق من العدم* المحض لكي ينزه الله تعالى عن كل عيب ونقصان وليس كمثله شيء* .

---

* خلق : وهو إنشاء الشيء واختراعه وأحداثه من العدم إلى الوجود ، وهذا لا يكون إلا من الله عز وجل عند أهل الخلق ، وكل من الخلق والاختراع والإيجاد والإبداع خاص بالمولى عز وجل إلا أن الخلق هو الإيجاد مطلقاً والاختراع هو الإيجاد لا على مثال سابق فلذلك قال : خلق الخلق وأعمالهم لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (قواعد العقائد الغزالي هامش ص ٦٠) .

* الإبداع : في اللغة أحداث شيء على غير مثال سابق وعند البلغاء اشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع وله في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :- إيجاد الشيء من لا شيء كإبداع الباري سبحانه فهو ليس بتركيب ولا تأليف وإنما هو أخراج من العدم إلى الوجود فقالوا الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء والخلق إيجاد شيء من شيء لذلك قال الله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ المعجم الفلسفي د جميل صليبا ص٢١ .

وينقد الغزالي الفيلسوف اليوناني أرسطو لأنه يقول بقدم العالم لذلك يقول : (الركن الأول من معرفة ذات الله ومداره على عشرة أصول وهي :- العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وإنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان ويؤكد الغزالي على حدوث العالم في كتابه تهافت الفلاسفة فيقول : الدليل الأول يقول الفلاسفة يستحيل حدوث من قديم وذلك لأن ضرورة معناه تجدد مرجع أخرجه من حالة الإمكان الصرف إلى الوجود والقول يتجدد مرجع يقتضي السؤال عن لم وجد ؟ ومن أوجده ويفسر الغزالي قولهم بمرجع حيث يقول (أن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر العدم إلى الغاية التي يستمر عليها ، وأن يبتدأ الوجود من حيث ابتدأ ، وأن الوجود قبله لم يكن مراداً فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد به الإرادة القديمة فحدث لذلك فما المانع من هذا الاعتقاد وما المحيل له ، ثم يقول الغزالي مدللاً على صدور الحادث عن القدم مخالفاً في ذلك الفيلسوف الإسلامي ابن سينا إن في العالم حوادث ولها أسباب ، فإن استندت الحوادث إلى الحوادث إلى غير نهاية ... فهو محال هذا فيما يتعلق بالدليل الأول أما الدليل الثاني فيحدث عن الزمان والحركة فيقوم الذي قدمه الفلاسفة فيقول على القول بقدم الزمان وقدم الحركة أما الغزالي فيرى عكس ذلك تماماً لأن الزمان عنده حادث مخلوق وليس قبله زمان أصلاً ، ومعنى قولنا أن الله متقدم على العالم والزمان أنه سبحانه وتعالى كان لا عالم ثم كان معه عالم .

أما الزمان الذي قال به الفلاسفة فهو غلط الوهم لأن الوهم يعجز عن تصور وجود مبدأ إلا مع تقدير قيل له . وهو كذلك يعجز عن تصور تناهي الجسم ، فيتوهم أن وراء العالم شيئاً ما خلاء وأما ملاء والغزالي يعتمد في نفيه لتقدير شيء ممتد (وهو الزمان) على مقابلة الزمان بالمكان لإثبات تناهي الزمان والحادث قبل حدوثه لا يخلو أما أن يكون ممكن الوجود أو ممتنع الوجود ، وأن ما ذكروه في تقدير الإمكانيات لا مضي له وإنما مسلم أن الله تعالى قديم قادر لا يمتنع عليه الفعل أبداً ، إن أراده وليس في هذا القدر ما يوجب إثبات زمان ممتد إلا أن يضيف الوهم بتلبسه إليه شيئاً آخر .

مفهوم صفة العلم الإلهي عند الفلاسفة القدماء :-

أولاً : في شرح قولهم أن البارئ تعالى لا يعرف إلا نفسه :-

هذا القول – عصمنا الله وإياك من الزلل – أوهم كثيراً من الناس أنهم أرادوا به أنه غير عالم بغيره ، واستعظم قوم منهم أن يصفوه بهذه الصفة فزعموا أنه عالم بالكليات غير عالم بالجزئيات ، وزعم آخرون أنه يعلم الكليات والجزئيات بعلم كلي ، وهذا القول الثالث أقرب أقوالهم إلى الحق وإن كان فيه موضع للتعقيب.

---

* العدم المحض : الخالصة من غير أن يشوبه شيء آخر سواه ، والعدم يقابل الوجود كما أن العدمي يقابل الوجودي ، والعدم مطلق ، فالبالغ من النقص غايته فهو المنتهى إلى مطلق العدم ، فالحري أن يطلق عليه معنى العدم المطلق ، ووجود العدم هو خروج بالقوة إلى الفعل .د عبد المنعم الحفني المعجم الفلسفي ص٦٠٦ .

* ليس كمثله شيء :- معتقد أهل الحق أن الباري لا يشبه شيئاً عن جميع المخلوقات ولا يماثله شيء في الكائنات بل هو بذاته منفرد عن جميع المخلوقات وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا تحله الكائنات ولا تمازحه الحادثات ولا له مكان يحويه ولا زمان هو فيه ، (موسوعة علم الكلام الإسلامي د. سميع درغيم – الجزء الثاني ص١١١٩ – لبنان ، الطبعة الأولي سنة ١٩٩٨ .

أما الأولان الآخران فقد اجتمع فيهما الخطأ الفاحش والجهل في صفات الله تعالى بسوء التأويل لكلام القدماء من الفلاسفة .

أما قولهم أن البارئ لا يعلم إلا نفسه فيحتمل أربع معان يقرب بعضها من بعض :

أحدهما أن الوجود نوعان : وجود مطلق ، ووجود مضاف . فالوجود المطلق هو الذي لا يفتقر إلى موجود ولا هو معلول لعلة هي أقدم منه ، والوجود المضاف هو الذي يفتقر إلى موحد كأن علة له . فالوجود المطلق : هو الوجود الذي يوصف به البارئ جل جلاله لأنه الوجود المطلق الذي لا علة لوجوده والوجود المضاف : هو الذي يوصف به سواه من الموجودات .

ثانياً : صفة العلم الإلهي عند أفلاطون [*] :-

يتمسك أفلاطون دائماً بنظرية المثل حيث يقول (في كتابه طيماوس أن العوالم العالية لها أفضال كثيرة ، وهذا ليس لنا في عالمنا هذا . بل عسى أنا في العوالم العالية إذ نحن تهذبنا فجزنا الأفلاك التسعة وحركاتها بتطلعنا وجزنا عالم النفس فهذبنا حتى نحل في عالم العقل الذي لا تخفى عنه خافية ولا تجوز عنه صورة ، ومنه انتشاق الصورة وليس فيه زمان ولا مكان ولا حركة ولا كيفية ولا هيولي بل الأشياء فيه حقائق مجردة مكشوفة ليس قوة بل الصورة فيه ثابتة وراجعه على أنفسنا وذواتها تعرف أنفسها وغيرها لما فيه من مطاعة البارئ – عز وجل – لها .

– ما هو أصل المعرفة وما هي قيمتها عند أفلاطون ؟

يقول د/ جميل صليبا في كتابه تاريخ الفلسفة العربية : المعرفة الحق عند أفلاطون هي معرفة المثل لأن المثل هي الحقائق الثابتة وإذا كانت موجودة فوق هذا العالم المحسوس وكانت الجزئيات الحسية لا تشاركها إلا في بعض جوانبها كانت المعرفة الحاصلة للعقل من تأمل المثل أعلى من المعرفة الحسية .

ثالثا : مفهوم صفة العلم الإلهي عند أرسطو :-

نلاحظ أن هناك اختلاف في معرفة العلم الإلهي في العصور الوسطى وعند أرسطو والدليل : ولئن حاول رجال العصور الوسطى أن يفسروا علم الله بالأشياء عن طريق علمه بذاته لأنها علتها جميعاً إلا أن أرسطو كان واضحاً في هذه النقطة لأنه فرق بين احتماليين معرفة الله بذاته أو معرفته بالأشياء واختار الافتراض الأول منها .

إذن أرسطو ينفي الفعل الإرادي لله بما ذهب إليه من قدم العالم وصدوره عن الله صدور المعلول عن علته – فلا يمكنهم إثبات العلم لله تعالى .

---

[*] أفلاطون : عاصر أفلاطون فترة عصيبة من فترات حياة أثينا السياسية . إذ ولد في السنة الأولى من الألمبياد الثامن والثمانين ٨٨ في تقدير علماء الإسكندرية أي عام ٤٢٨ ق.م وهو فيلسوف يوناني من أسرة ارستقراطية له مصنفات فلسفية مثل كتاب الجمهورية ومحاورات فلسفية . (الفلسفة عن اليونان د. أميره حلمي مطر ص ١٦١ : ١٦٧ .

رابعا : الكندي* فيلسوف العرب الأول :-

من الجدير بالذكر بأن الغزالي لم ينقذ الكندي كما نقد الفارابي وابن سينا لأنه يقول بحدوث العالم ويثبت حدوث الزمان والحركة والجرم والمادة حادثة من نظرة واثبت خلق الله للعالم من العدم وأن الله وتعالى يدبر العالم ويعتني به لذلك يعلم جميع الكليات والجزئيات .

والكندي يجكم نزعته العربية الواقعية لا ترضية ضروب الخيال الموجود عند أفلاطون وأرسطو .

ويستمر الكندي في توضيح الفروق بين العلم الكسبي والعلم الإلهي وكذلك الفرق بين علم الفلاسفة وعلم الأنباء ليثبت أن الله يعلم جميع الممكنات والكليات والجزئيات مثل الفرابي تماماً .

***صفة**

خامسا : الفارابي *:-

كان الفارابي يعيش في عالم العقل ابتغاء للخلود وكان ملكاً في عالم العقل (ت : ج : دي يور) وموقف الغزالي من الفارابي وفلسفته الإلهية وجهة إليه النقد الشديد لأنه يتمسك بفلسفة أفلاطون وأرسطو ، ويهمنا على الخصوص : أن نتحدث عن رأي الفارابي في صفة العلم فإن هذه الصفة قد أثارت خصومة عنيفة لأنه يقول أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات يقول الفارابي (في كتابه الخصوص : علمه الأول لذاته لا ينقسم وعلمه الثاني عن ذاته إذا تكثر لا تكن الكثرة في ذاته بل بعد ذاته ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها من هناك يجري القلم في اللوح المحفوظ جرياناً متناهياً إلى يوم القيامة) ويقول الفارابي (أن الغاية الكلية في الجزئيات وأن كل شيء من أجزاء العالم وأحواله موضوع بأوفق المواضع وأتقنها على ما يدل عليه كتب التشريحات .

***صفة العلم الالهي عند ابن سينا :-**

سادسا : ابن سينا *:- يقول ابن سينا بأن علم الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات لذلك نقده الغزالي ، فيقول : الأول موجود لا في المادة . إن كان المعنى به أنه ليس بجسم ولا نطبع في جسم فهم مسلم ، فيبقى قولكم وما هذه صفته فهو عقل مجرد فماذا يعني بالعقل ، إن عنى به أنه يعقل سائر الأشياء فهو نفس المطلوب .

مفهوم صفة العلم الإلهي عند الغزالي :-

رأى الغزالي أن يكون الكلام في هذه المسألة على مراحل ثلاث :-

---

* الكندي :- هو أبو يوسف إسحاق الكندي : لقبه فيلسوف العرب ولد سنة ١٨٥ ه في الكوفة من عائلة عريقة من قبيلة كندة ، والده كان أميراً على الكوفة ، قدم إلى بغداد وحظي برعاية المأمون العباسي والمعتصم ، اهتم بالرياضات والمنطق والعلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والموسيقى مات سنة ٢٦٠ ه في بغداد من تلاميذه الأفلاطونية المحدثة (فيلسوف العرب الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ص ١٥) .

* الفارابي :- هو أبو نصر محمد بن طرفان ، ولد في قرية (وسيج) بالقرب من (فاراب) التركية ٢٥٩ ه وتوفى في دمشق ٢٢٩ ه ووالده كان قائداً في البلاط التركي ، حمل لقب المعلم الثاني من اشهر مؤلفاته : الجمع بين رأي الحكمين ، ورسالة فصوص الحكم ، آراء أهل المدينة الفاصلة والموسيقى الكبير . (عيون الأنباء في طبقات الأطباء أبي أصيبعه ، ط ٢ .

* ابن سينا :- هو أبو على سينا : الشيخ الرئيس ولد في (أفشنة) قرب بخاري سنة ٢٧٠ ه والده كان من دعاء الحكم بأمر الله القاضي المنظم فيلسوف وطبيب ، ألف القانون في الطب وغيرها من المؤلفات الفلسفية ، (دائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين ، المجلد الأول ، ص ٢٠٣ .

أ- مناقشة ابن سينا في أن الله يعلم ذاته وغيره .

ب-تعجيز الفلاسفة عن إثبات أن الله يعرف ذاته حسب مذهبهم في كيفية صدور العالم عنه .

ج- أبطال قولهم بأن الله لا يعلم الجزئيات .

ينتقد الغزالي ابن سينا في مسالة العلم الإلهي :-

فيقول (أما ادعاء ابن سينا أن الله عقلٌ محض فمن الضروري والبديهي* أن العقل* غيره لأن المادة هي التي تمنع من إدراك الأشياء فليس بديهياً و إلا لما خالفه الفرابي قبله فيه ثم بعد هذا لا دليل عليه .

ويقرر الغزالي أنه حتى ما ذهب إليه ابن سينا من أن الله يعلم ذاته وغيره أيضاً ولكن بنوع كلي فيه استئصال للشرائع الكلية ، فإن هذا يئول إلى أنه تعالى يعلم الأسباب التي تكون عنها أشياء هذا العالم وأحواله ولكنه لا يعلم الأمور الجزئية مثل طاعة هذا الإنسان أو عصيانه وإيمانه أو كفره .

ويذكر لنا الغزالي السبب الذي جعل ابن سينا يقول بهذا أنهم يرون أن اختلاف العلم يوجب التغير في العالم وهذا ما لا يصلح في حق الله سبحانه وتعالى.

***صفات الله عند الغزالي خمسة :** معنوية وذاتية وسلبية وفعلية ويهمنا المعنوية لأنها تشمل العلمي الإلهي .

الصفات المعنوية عند الغزالي :-

يقسم الغزالي الصفات المعنوية إلى سبعة وهي :- العلم – الكلام القديم – الإرادة – القدرة – السمع – البصر – الحياة .

ومعرفة هذه الصفات الغرض منها التنزيه* لله سبحانه وتعالى حيث يقول :-

وأما معرفة الصفات فأن تعرف أن الله تعالى حيٌّ عالم قادر سميع بصير إلى غير ذلك من الصفات فإن قيل ما سر المعرفة يقال سرها وروحها التوحيد وذلك بأن تنزّه حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق .

أحكام صفة العلم الالهي عند الغزالي :-

يقول : تنقسم إلي ما يجب و يستحيل و يجوز عليه سبحانه و تعالي و يجب توحيد الله في ذاته و توحيد في صفاته و توحيد في أفعاله فهذه الشعب حفر الله علي عبارة . ومن الجديد بالذكر باب صفة العلم الإلهي عن الغزالي إلي تختلف تماما عن أقوال الفلاسفة القدماء و ابن سنيا الغد لون الآلام حيث أن الله يعلم العليات و الجزئيات ويفند آرائهم بقوله : وانه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بعل شيء و بجميع الموجودات و

---

* البديهيات (البديهي) هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب سواء احتياج إلى شيء آخر من جذب أو تجزئة أو غير ذلك أو لم يحتج فيرادف الضروري ، المعجم الفلسفي يوسف كرم ص٢٠ .

* العقل :- جوهر مجرد عن المادة في ذاته ما قرن لها في فعله (ما يعقل به من حقائق الأشياء قبل الرأس وقيل محله القلب) الجرجاني – التعريفات ص١٢٦ .

* التنزيه :- هو تبرئة الله عز وجل عما لا يليق بجلاله وقدسه من كل عيب ونقص ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان وليس بجسم ماله طول وعرض وعمق ولا جوهر .. لأن الجوهر هو الجزء الذي لا ينقسم وهو أصل الشيء . وما يتركب منه الجسم ، الغزالي قواعد العقائد ص٥١ .

إن صفاته تعالي و اجبه الوجود أزلية أبدية عامة التعلق فيتعلق عله بجميع الجزئيات والعليات وعلمه متعلق . بجميع الموجودات وعلم اله شمائل لعل المعلومات لذلك استحق العبادة و التنزيه و التوحيد .

التواجد المطلق لله سبحانه وتعالي حيث يقول الغزالي :-

يجب توحيد تعالي باستحقاق العبادة الإلهية وعموم تعلق صفاته تعالى فيتعلق علمه بجميع المعلومات ، وصفة العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالاً في الوجود والبداهة تقتضي ذلك بأن العلم لله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء عليم فلا حاجة إلى الترديد الذي لا يحسن إلا في مواطن الشك .

وباعتبار الإمام الغزالي سنى وأشعري* يستدل على ذلك بالآيات القرآنية لأنها الدليل القاطع والصادق لكل إنسان لذلك يقول في كتابه قواعد العقائد : العلم بأنه تعالى محيط بكل شيء وعالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء صادق في قوله (وهو بكل شيء عليم) سورة الأنعام آية ١٠١ ومرشد إلى صدقه بقول تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سورة الملك : آية ١٤ أرشد إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأن لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف ، على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف مما سبق يتضح لنا أن الإمام الغزالي نقد أقوال الفلاسفة القدماء ومن بينهم أرسطو الفيلسوف اليوناني المشهور وأبطل الغزالي نظرية أرسطو في الجواهر وبالأخص الجوهر الفرد وهي عبارة عن : الجوهر عند أرسطو يطلق على كل ذات ليست موضوع أما العرض فيطلق على كل ذات قوامها في موضوع ، والجواهر *في نظر أرسطو كائنات جزئية مفردة وإنه لا حاجة إلى القول أن هناك عالماً مثالياً موازياً للعالم الحي فيه من الجواهر المفارقة عدد لعدد الجواهر الموجودة في العالم الحقيقي .

لذلك يقول الإمام الغزالي (إن كل حادث في العالم فهو فعل الله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته .

موقف الامام الغزالي من الفلاسفة في مسألة علم الله بالكليات والجزئيات:-

ويؤكد الإمام الغزالي على مخالفته لأقوال الفلاسفة لقولهم بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات وإن دل على شيء فإنما يدل على إبداع الغزالي ونقده المنهجي للفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول (أنه سبحانه وتعالى عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات والموجودات والمعدومات والغائبات والحاضرات والمتغيرات والمفارقات والدليل عليه : هو أنه لو كان عالماً بالبعض دون البعض لكان عالميته بذلك البعض

---

* نشأت مدرسة الأشعرية في القرن الرابع الهجري وقد أسسها أبو الحسن الأشعري وتلاميذه وظلت هذه الحركة مهيمنة على الدين الإسلامي السني ، ورجال الأشعرية هم باتلاس السمعاني الغزالي فخر الدين الرازي – الجرجاني – الجويني * الشهرستاني .

* الجوهر الفرد : الجزء الذي لا يتجزأ أجوهر ذو وضع لا يقبل الإنقسام أصلاً لا بحسب الخارج ولا بحسب الوهم أو الغرض العقلي تتألف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض كما هو مذهب المتكلمين .

وقالو أيضاً الجوهر الفرد والآن يقال ذرة ، وشئل الشيخ محمد عبده في الدرس : هل يصدق ذلك بالجوهر الفرد بهذا بالمعنى الذي يقولونه وهو أنه لا يقبل القسمة فعلاً ولا عقلاً ولا هماً ؟ فقال : إن الجوهر الفرد بهذا المعنى لا حقيقة له ونحن نحمل كلام من يقول بالجوهر الفرد على الجزء الذي لا ينقسم مثلاً لشدة صغره والموضوع كله من نظريات الفلسفة القديمة الباطلة . (المعجم الفلسفي ، يوسف كرم وآخرين ص ٥٥ . رسالة التوحيد : الشيخ محمد عبده ص ٣١) .

دون غيره بتخصيص مخصص وذلك المخصص يجعله عالماً بذلك البعض وكل ما كان كذلك فهو عاجز وليس له صلاحية الإلهية ، فثبت أن الصانع العالم عالم بجملة المعلومات غير المتناهية .

أهم مميزات صفة العلم الالهي عند الغزالي :-

أولا : القدم :-

وصفه العلم الإلهي التي تتميز بالقدم * تتفق مع وجود الله الأزلي الأبدي يقول الإمام الغزالي (أنه علمه قديم ، فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقات ومهما حدثت المخلوقات ولم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام علم تقديراً حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك من غير تجدد وعلم آخر فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى .

إذن صفاته تعالى واجبة الوجود أزلية أبدية عامة التعلق فيتعلق علمه بجميع الجزئيات والكليات وعلمه متعلق بجميع الموجودات .

ثانياً : عدم تشبيه علم الله سبحانه وتعالى بعلم الإنسان:-

يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين الجزء الرابع : أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ؟ وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء ٨٥ بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر ذلك (ولا يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء) البقرة إذن علم الله هو سبب وجود الموجودات وعلم الإنسان محلول عنها ، وأن علم الله لا يصح وصفه بأنه كلي أو جزئي . ومن فهم هذه التفرقة بين علم الله وعلم الإنسان فهم معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة سبأ : ٣ .

موقف الغزالي من علم الانسان وعلم الله تعالي :-

ويفسر لنا الغزالي علم الإنسان بالنسبة إلى علم الله تعالى لإعطاء صفة التنزيه والقدر لله حيث يقول (والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فيتعلمه علموه ، كما قال تعالى : (خلق الإنسان علمه البيان) الرحمن ٣ ، ٤ فإن جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكمالاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى ، فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه . بل من عرف أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحالة أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم .

مما سبق يتبين لنا أن علم الإنسان يناهي أما علم الله لا يتناهى وله صفة القدم ، وعلمه تعالى محيط بما لا يتناهى ولا يتوقف وصفه تعالى .

---

* القدم : قدم العلم الإلهي لأن هذه الصفة تتعلق بكل واجب وكل مستحيل وكل جائز ، وهي صفة أزلية لها تعلق بالشيء على وجه الإحاطة به على ما هو عليه دون سبق خفاء وعالم بجميع المعلومات موجوداً كان ذلك المعلوم أو معدوماً محالاً كان أو ممكناً ، قديماً كان أو حادثاً ، متناهياً أو غير متناه جزئياً كان أو كلياً مركباً كان أو بسيطاً .

ثالثاً : العلاقة وثيقة بين صفة العلم الإلهي والحياة * :

ويسترشد الغزالي على ذلك من خلال مصنوعات الله سبحانه وتعالى فيقول في كتابه القسطاس المستقيم (إن كان صفة العالم وتركيب الآدمي مرتباً عجيباً محكماً فصانعه عالم وهذا في العقل أولى ومعلوم أنه عجيب مرتب وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه أن صانعه عالم ثم نترقى ونقول : إن كان صانعه عالماً فهو حي ومعلوم أنه عالم بالميزان الأول فيلزم أنه حي .

وينفي الغزالي صفة العرض بالنسبة للعلم الإلهي لأن العرض يزول من وقت لآخر أما صفة العلم الإلهي فهي قديمة وثابتة يقول الغزالي إن كان حياً عالماً فهو قائم بنفسه وليس بعرض ومعلوم بالميزانين السابقين أنه حي عالم فيلزم منه أنه قائم بنفسه فكذلك نعرج من صفة تركيب الآدمي إلى صفة صانعه وهو العلم ثم نعرج من العلم إلى الحياة ثم منها إلى الذات وهذا هو المعراج الروحاني .إذا علم الواجب من لوازم وجوده فلا يفتقر إلى شيء ما وراء ذاته فهو أزلي أبدي غني عن الآلات وجولات الفكر وأفاعيل النظر فيخالف علوم الممكنات بالضرورة .

وفي المسألة إحدى وعشرون في إبطال قولهم : ((إن الله – تعالى عن قولهم – لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان : إلى الكائن ، وما كان وما يكون)) وخلاصة مذهبهم في ذلك : أن الواقع متغير والعلم بالشيء المتغير متغير ، والتغير على الله محال ... لهذا كان علمه بالواقع لا من حيث إنه متغير بل من جهة ثباته واستقراره (الإشارات لابن سينا) .

قال الغزالي : هذه قاعدة استأصلوا بها الشرائع بالكلية ... ويقول أيضاً : ما المانع من أن يكون لله تعالى علم واحد بالشيء يشمل أحواله الماضية والراهنة والمستقبلة وبذلك يكون الله عالماً بالشيء ما في جميع أحواله .

رابعاً : مفهوم صفة العلم الإلهي بالنسبة لمسألة التأويل * عند الغزالي :

يقول الله تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.

هذه أمور لا يعلم تأويلها* إلا الله والراسخون في العلم وميز ابن عباس رضي الله عنهما على اختصاص الراسخون في العلم بعلوم لا يحتملها إفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فقال : لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر : لقلتم إنه كافر .

---

* الحياة : فهو سبحانه : حي بحياة هي صفة أزلية له لا يجوز عدمها ولا زال حياً أبداً ، وأراد تعالى حدوث كل ما علم حدوثه على الوجه الذي علم حدوثه عليه .

* التأويل : في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة مثل قوله يخرج الحي من الميت إن إرادته إخراج الطير من البيضة ، كان تفسيراً (الجرجاني – التعريفات ص٤٢) .

– التأويل مشتق من الأصل وهو في اللغة الترجيع تقول أوّله رجعه وقال ابن رشد التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز أو مقارنة أو غير ذلك . (المعجم الفلسفي – جميل صليبا ص٢٢٤) .

* التأويل : في رأي رجال السلف الإسلامي هو التفسير وبيان المراد في النص القرآني أو الحديثي وبهذا المعنى : ورد كثير من القرآن نفسه ، وهو التأويل المقبول ، ويقال هذا المعنى : إن الصحابة والتابعين كانوا يعرفون تأويل القرآن الذي فسروه كله ، ومن ثم قال الحسن البصري من التابعين ، ما

إذن علم الله سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت أو سكنت ، وعلم الواجب ن لوازم وجوده كما ترى فيعلو على العلوم علو وجوده عن الموجودات فلا يتصور في العلوم ما هو أعلى منه ، فيكون محيطاً وبكل* ما يمكن علمه و إلا تصور العقل علماً أشمل ، وهو إنما يكون لوجود أكمل وهو محال .

ويقول الغزالي رداً على فلاسفة الإسلام الذين استبعدوا علم الله بالجزئيات : عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين إلى أعلى السماوات ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء* ويدرك حركة الذر في الهواء ، ويعلم السر* وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالتحول* والانتقال .

ويوضح الغزالي رأي الفلاسفة كمثال كسوف الشمس ... والنتيجة هي أن الله يعلم الكسوف وجميع صفاته وعوارضه وهو علم يتصف به الله في الأزل والأبد لا يختلف ولا يتغير .

موقف ابن رشيد ** من الغزالي في مسألة العلم الإلهي :-

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : فإن هذه الصفة قد أثارت خصومة عنيفة بين رجال الدين ورجال الفلسفة ومن مظاهرها هذا النزاع على تحديدها حدث بين الغزالي وابن رشد ، لقد جعلها الغزالي : من المسائل التي كفر بها الفلاسفة ، إذ يقولون – حسبما يرى – بعلم الله بالكليات وينكرون علمه بالجزئيات .

ويعتبر ابن رشد من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين استطاعوا أن يتركوا بصمات واضحة في مجال العلوم الدينية وغير الدينية ليس على الفكر العربي والإسلامي وحده ، بل على العالم الغربي .

وألف الفيلسوف ابن رشد كتابه التهافت لكي يرد على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول : ولذلك كان كتابنا هذا الغرض منه إنما هو التوفيق على مقدار الأقاويل المكتوبة فيه ، والمنسوبة للفريقين

أنزل الله آية إلا وهو يجب أن يعلم ما أريد بها ، (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، طبع بولاق سنة ١٢٦١ هـ ص١١٠ : ١٢٠ .

* محيطاً بعل ما يمكن علمه : مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فعلمه أحاط بالمعلومات كلها ، فعلى هذا التأويل يكون المحيط من أوصافه الأزلية لأنه لم يزل عالماً بالمعلومات كلها ودليل هذه الإحاطة قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ .

* الليلة الظلماء : وكيف وهو خالقها إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ووابرا هذه الأوصاف تنبيها على كمال الدقة والخفاء .

* يعلم السر : وما أخفى من السر وهو ما يطرأ وجوده في ضمير صاحبه ، فيعلمه قبل أن يقع بخاطر صاحبه .

* كما ذهب إليه جهم بن صفوان والرافضة ، بقولهم أنه عالم بعلم ، قائم لا في محل وهو مع ذلك متجدد بتجدد الحادثات متعدد بتعدد الكائنات ، غاية المرام في علم الكلام – الآمدي ص٧٥ .

* ابن رشد : ت (٥٢٠ هـ – ١١٢٦ م) (٥٩٥ هـ – ١١٩٨ م) .

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة ، والده وجده كانا من شهير القضاة تعلم الفقه والشعر والطب والفلك والرياضيات والفلسفة ، انتقل إلى مراكش سنة ٥٤٨ هـ وفي سنة ٥٦٥ هـ صار قاضياً على اشبيلية عرف بأنه شارح أرسطو ومفسراً له ومنهجه في التفسير يأتي فيض أرسطو فقرة بحروفها ثم يأخذ في تفسير عبارات هذه الفقرة عبارة عبارة وترك لنا مصنفات كثيرة منها (فضل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الإتصال) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة مسألة في ضميمة العلم الإلهي – الكليات في الطب – بداية المجتهد ونهاية المقتصد – له شروح كثيرة لأرسطو مثل شرح السماع الطبيعي – أسماء والعالم – شرح الكون والفساد – شرح الآثار العلوية وغيرها ....(دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ١٦٦)

وإظهار رأي القولين أحق ما ينسب صاحبه إلى التهافت والتناقض ويوجه النقد الشديد للغزالي من أجل عنوان كتابه تهافت الفلاسفة فيقول : وكان أحق الأسماء بهذا الكتاب كتاب التهافت المطلق وتهافت أبي حامد لا تهافت الفلاسفة .

ويقول أيضاً : إنما قاله لئلا يظن به أنه يقصد نصره مذهب الأشعرية والظاهر من الكتب المنسوبة إليه أنه راجع إلى العلوم الإلهية إلى مذهب الفلاسفة ويقول ابن رشد (ذلك أن علمه هو سبب الوجود والموجود سبب لعلمنا فعلمه سبحانه لا يتصف بالكلي ولا بالجزئي* لأن الذي علمه كلي فهو عالم بالجزئيات التي هي بالفعل بالقوة) .

ويستخدم ابن رشد التأويل لكي يدافع عن الفارابي وابن سينا من هجوم الغزالي عليهما : فيقول (فلما ثبت حق التأويل لأهل البرهان كيف يقطع إذا الغزالي بتكفير الفارابي وابن سينا في كتابه (التهافت) في ثلاث مسائل اجتهدوا فيها ، وهي قولهم بقدم العالم ، وبأن الله لا يعلم الجزئيات ، وتأويلهم مسألة الحشر للأجساد وأحوال المعاد ؟

ويلاحظ ابن رشد أن تكفير الغزالي للفارابي وابن سينا لم يكن قطعاً ، لأن الغزالي صرح في كتابه (التفرقة) أن التكفير يخرق الإجماع فيه احتمال .

ومن الجدير بالذكر أن ابن رشد يبدأ بمسألة علم الله ، وتتميز طريقة ابن رشد في الرد على الغزالي بتحليله المسألة تحليلاً منطقياً واضحاً مبني على تعريف الألفاظ أولاً ثم على تطبيق هذا التعريف على ما هو متنازع عليه أو غامض بين الطرفين المتخاصمين .

منهج ابن رشد في العقائد الإلهية :-

لكي يحدد ابن رشد الأصول والقواعد التي تتبع في مجرى العقائد الإلهية يقول : وأنا أذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة في الشرع التي لا يتم الإيمان إلا بها وأتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم دون ما جعل أصلاً في الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل التي ليس بصحيح .

لذلك وجه النقد إلى ابي حامد لإخلاله هنا بالشريعة حيث يقول : أما إخلاله بالشريعة فمن جهة إفصاحه فيها بالتأويل الذي لا يجدر الإفصاح بها إلا في كتب البرهان ، وفضل القدماء كبير ... وعن الغزالي كذلك يقول ابن رشد : والذي حكاه عن صفة إيمان من اتبع الشرع في هذه الأشياء هو الذي يقوله محققو الفلاسفة ، لأن قول من قال : إن علم الله وصفاته لاتكيف ولا تقاس بصفات المخلوقين ... هو قول المحققين من الفلاسفة .

لذلك يقول ابن رشد في كتابه في بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، وليس قصدنا تفصيل المذهب ولا تخريجه وإنما الغرض الإشارة إلى قواعد المسائل وأصولها .

ويوضح لنا ابن رشد مقصد الشرع حيث يقول : وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق ، والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ماهية عليه وبخاصة

---

* لا يتصف بالكلي ولا بالجزئي : لذا فهو ينتقد المتكلمين والمشائين معاً ، إذ أنهم نزّهوا الله عن الصفات الإنسانية ، راحوا يقايسون العقل في الشاهد بالعقل بالغائب .

الشريفة منها ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي ، فإذن اللذات العقلية الأخروية أفضل من اللـــذات الجسمية الدنيوية .

ويتميز منهج الشرع عند ابن رشد بالموضوعية العلمية ومن أجل ذلك شهد له علماء أوروبـــا فيقـــول كارادي فو تعليق على مادة ابن رشد الكلامية : فلسفة ابن رشد غنية جداً يصعب على الناظر جمع عناصرها في مقال واحد .

وبالرغم من أن ابن رشد اهتم بمؤلفات ارسطو الفيلسوف اليوناني سواء عن طريق التفسير والشـــرح والتلخيص إلا أنه فيلسوف إسلامي نبع من بيئة إسلامية والدليل على ذلك قوله (وأتحرى في ذلـــك مقصـــد الشارع صلى الله عليه وسلم بحسب الجهد والاستطاعة) ، والنافع من جملته العلوم العقلية المحضـــة وهـــي العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وكتبه وكيفية وجود الأشياء منه .

مفهوم العلم الإلهي عند ابن رشد :-

يستخدم ابن رشد المنهج المقارن لكي يميز بين علم الله سبحانه وتعالى وعلم الإنسان بالأشياء فيقول (ففي مسألة علم الله يجب التمييز بين علمنا بالأشياء وعلم الله بها لأن علمنا معلول بالأشياء المعلولة ، أي أن وجود هذه الاشياء سابق على علمنا بها . بينما علم الله هو علة لها ، والمعنى أنه سبحانه وتعالى يعلمها قبل وجودها ووجودها متعلق بعلمه بها .

فلا يمكن إذا تشبيه علمنا بعلم الله ، وليس هناك الاسم (العلم) فقط المشترك بين الاثنـــين ، والعلـــم الإلهي لا يصدق عليه ما يصدق علم البشري .

وبخصوص علم الله بالجزئيات يقول ابن رشد : أن الجزئي متضمن في الكلي ، والدليل على ذلـــك أن الرؤية الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات التي ستحدث في الزمان ومثل هذه الإنذارات تحدث للإنسان من قبل العلم الأزلي ، فيكفي الله أن يعلم الكلي إذن الكلي يتضمن الجزئي .

ويبين لنا ابن رشد الاختلاف الظاهر بين علمنا وعلم الله فيقول : أن علمنا يبدأ بالجزئي ثـــم يتـــدرج ويرتقي نحو الكلي بينما الأمر خلاف ذلك في علم الله إذ أن علمه كلـــي وقـــديم والجزئـــي معلـــول لـــه ، والإدراكات كلها إن كانت لنقص في الآدمي فالبارئ منزه عنها ، وأن علمه ليس يقتسم فيه الصدق والكـــذب المتقابلات التي تقتسم الصدق والكذب على علم الإنسان .

ضميمة العلم الإلهي عند ابن رشد :-

هذه الضميمة هي توضيح لمسألة علم الله التي وردت في كتاب (فصل المقال) والنقطة المهمة فـــي هذه المسألة هي الآتية :-

كيف يكون علم الله قديماً من جهة ، ومتعلقاً بالأشياء الحادثة من جهة أخرى ؟

هنا سؤالان يتبادران إلى الذهن وهما :-

١. إذا كانت الأشياء كلها في علم الله قبل أن تكون ، فهل هي بعد وجودها ، أو قل بعد تحققها تماماً مثـــل ما كانت في علمه تعالى قبل تحققها ؟
٢. أما الأشياء التي قس علم الله قبل وجودها أو تحققها تختلف عما أصبحت بعد وجودها ؟

يقول ابن رشد فإن لم يعرف الربط لم يقدر على الحل " فإن قلنا أنها في علم الله حال وجودها في غير ما كانت عليه في علمه قبل أن توجد ، لزم أن يكون العلم القديم متغيراً ، وأن يكون إذا خرجت من العدم إلى الوجود قد حدث أن هنالك علم زائد ، وذلك مستحيل على العلم القديم وإن قلنا أن العلم بها واحد في الحالتين ، قيل (فهل هي في نفسها) بمعنى الموجودات الحادثة قبل أن توجد كما هي حين (ما) وُجدت ؟ ، فسيجب أن يقال : (ليست في نفسها قبل أن توجد كما هي حين (ما) وصدت " و إلا كان الموجود والمعدوم واحداً .

فإذا سلم الخصم هذا ، قيل له : (افليس العلم الحقيقي هو معرفة الوجود على ما هو عليه) ؟

النقد المنهجي في فلسفة ابن رشد ونقده للغزالي :-

وصل هذا الشك يستدعي كلاماً طويلاً ، إلا انّا ههنا للنكتة التي ينحل وقد رام أبو حامد حل هذا الشك في كتابه الموسوم (التهافت) بشيء ليس فيه مقنع وذلك أنه قال قولاً معناه هذا : وهو أنه زعم أن العلم والمعلول من المضاف ، وكما أنه لم يتغير أحد المضافين ولا يتغير المضاف الآخر في نفسه ، كذلك يشبه أن يعرض للأشياء في علم الله سبحانه . (العلم الإلهي علة للمعلوم ، والعلم الإنساني معلول له) .

ويجيب ابن رشد على هذا الشك فيقول : (والذي ينحل به الشك عندنا هو أن يعرف أن الحال في العلم القديم مع الموجود خلاف الحال في العلم المحدث مع الموجود . وذلك أن وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا ، والعلم القديم هو علة وسبب للموجود ، فلو كان إذا وجد الموجود بعد أن لم يوجد حدث في العلم القديم علم زائد كما يحدث ذلك في العلم المحدث ، للزم أم يكون العلم القديم معلولاً للموجود لا علة له فإذا واجب أن لا يحدث هنالك تغير كما يحدث في العلم المحدث ، وإذا تقرر هذا فقد وقعت الراحة من جميع المشاجرة بين أي حاسد والفلاسفة .

وينبه ابن رشد إلى كيفية استخدام قياس الغائب على الشاهد ، وقد عرف فسارد هذا القياس وكما أنه لا يحدث في الفاعل تغير عن وجود مفعوله ، واعني تغيراً لم يكن قبل ذلك ، كذلك لا يحدث في العلم القديم سبحانه تغير عند حدوث معلومة ، والمقدمات المستعملة في هذا الفصل مشهورة جلية ، لأنها كلها من باب قياس الغائب على الشاهد اللذين لا يجمعهما جنس ولا بينهما مشاركة أصلاً .

صفات العلم الإلهي عند ابن رشد :-

١. يؤكد ابن رشد على صفة القدم للعلم الإلهي فيقول (فإذا العلم القديم إنما يتعلق بالموجودات على صفة غير الصفة التي يتعلق بها العلم المحدث .
٢. عالم بالأشياء لأن صدورها عنه (الله سبحانه وتعالى) إنما هو من جهة أنه عالم لا من جهة أنه موجود فقط أو موجود بصفة كذا بل أنه عالم .
٣. يستخدم ابن رشد الدلالة القرآنية من خلال الآيات قال تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سورة الملك آية ١٤ ، وقد اضطر البرهان إلى أنه غير عالم بها بعلم هو على صفة العلم المحدث فواجب أن يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يكيف . وهو العلم القديم سبحانه .

ماهية العلم الإلهي عند ابن رشد :-

يرى ابن رشد أن الله الذي يعطي الكائنات صورها يعلم هذه الكائنات بعلم يخصه فالصورة ليست سوى (المعنى الذي به صار الموجود موجوداً ، وهي المدلول عليها بالاسم والحدّ ومنها مصدر الفعل الخالص بموجود موجود ، والمادة دون الصورة هي شبه معدومة إذ لا ترتيب فيها ولا معنى لها تدرك به .

ويؤكد ابن رشد على أن عقل الله إذا هو اشرف العقول ، وعلمه أكمل العلوم ، لذا وجب ألا نقابله بعلم الإنسان أو نعطيه صفات تشبه صفات العلم والتعقل فينا ، فعلم الخالق أصلاً هو علة لوجود الأشياء بصورها .

وإذا شئنا أن نتتبع غاية ابن رشد وجدناه يهدف من خلال انتقاداته وبراهينه حول السببية الإلهية إلى تقسيم البحث الفلسفي في الخلق إلى مستويين : مستوى الصفات الإلهية ومستوى الصفات الإنسانية .

وبعد أن استدل ابن رشد على العالم من خلال عالمه ومعلوماته ، اتبع المنهجية عينها للاستدلال على المنظم من خلال النظام والترتيب السائدين بين الموجودات (وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم) .

ولكن هذا كله هو من علم الراسخين في العلم ولا يجب أن يكتب هذا ، ولا أن يكلف الناس اعتقاد هذا ، ويجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .

تعقيب

*أدلة وجود الله عند الغزالي واضحة المعالم لأنها تتميز بتحديد البراهين الفلسفية مثل دليل التمانع ودليل العناية الإلهية ودليل الاختراع ، ومنهجه في البحث لأدلة وجود الله قائم على النظر القلبي فيبين استعدادات القلب لمباحث المعرفة على وجود الله سبحانه وتعالى ، وهناك بعض العلوم العقلية استخدمها الغزالي للتعرف على العالم الخارجي وهو عالم الشهادة والحواس مثل البديهيات ، والمجربات والتصديقات والحدسيات لكي يؤكد على أن الله تعالى لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل وأن الله سبحانه وتعالى يعلم جميع الممكنات والجزئيات والكليات للأشياء المخلوقة .

*إن القلب مصدر هام من مصادر المعرفة عند الغزالي لذلك ربط بين القلب والعقل في البرهنة على وجود الله ، ومن هنا سار القلب والعقل في الفكر الإسلامي في إطار واحد ودون أن يقع بينهم الصدام الذي عرفته الفلسفة اليونانية ، ونجد ذلك في أكثر الآيات القرآنية التي استخدمها الغزالي في أدلة وجود الله وبالأخص دليل التمانع والمعرفة القلبية أساس التوحيد بالله تعالى ، ويستخدم القلب للاستدلال على وجود الله من خلال مخلوقاته وقدرته لخلق العالم حتى يصل إلى الإيمان القلبي وهو الوحدانية لله ، وهذا ما يسمى عنده بالحدس القلبي لأن الإيمان عبارة عن نور يقذفه الله في قلب الإنسان المؤمن ..

*إن أهداف المعرفة عنده تختلف حسب موضوعات المعرفة ففي عالم الشهادة دراسة الظواهر الفلكية والعلوم الطبيعية والهدف منها التعرف على عناية الله تعالى وموضوعاته التي تدل على أن علمه محيط على بكل شيء وأن قدرته الإلهية منظمه للعالم وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة لقوله ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

*وبهذا يكون الغزالي قد وضع للمعرفة منهجاً قويماً ، وللعلم حداً دقيقاً يخلصه من عناصر الغموض واللبس ، وأظهر استحالة الوثوق بالعقل عن طريق العقل نفسه .

عندما استدل الغزالي على وجود الله من خلال الأدلة الفلسفية الإيمانية التي تخالف الفلاسفة اليونانيين أمثال أفلاطون وأرسطو استنتج أن هناك معرفة لا مدخل للعقل بها وهذا ما يسمى بعالم الغيب هو تقرير الوحدانية لله تعالى فتحصل التفرقة بين علم الله تعالى وعلم الإنسان ، وقد ضرب أمثلة جديرة بالاعتبار لبيان إمكان خطأ العقل في أحكامه وأخرى لبيان إمكان خطأ الحواس ، وأساس المعرفة إلى الإلهام لا إلى العقل .

*إن الغزالي قد انتهى إلى إثبات حدوث العالم ويوجه النقد إلى أفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا لقولهم بقدم العالم لذلك يقولون بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات ، وحدوث العالم عند الغزالي يستدل عليه بشيئية المعدوم لأن المسبوق بالعدم محدث والعدم عنده نفى محض ومن خلال حدوث العالم يقدم الغزالي الأدلة على التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى بقوله إن الله يعلم الكليات والجزئيات وأنه بكل شيء محيط ، ويتناول الزمان بمدلوله الصحيح لإثبات حدوث خلاف الفلاسفة السابقين لأن قبل حدوث العالم لا وقت ولا زمان بل ليس إلا الله تعالى .

*إذن الهدف عند الغزالي من البرهنة على وجود الله وصلتها بالعلم الإلهي هو إثبات الوحدانية والتنزيه المطلق لله تعالى وصفات الله تعالى تحتوي على خمس أقسام : معنوية ، وذاتية ، وسلبية وفعلية وبين لنا

الغزالي أن صفة العلم الإلهي من الصفات المعنوية لذلك يؤكد على تمييز هذه الصفات بعضها عن بعض لأن كل صفة من هذه الصفات لها خاصية لا توجد لغيرها .

*يخالف الغزالي فرقة المعتزلة لاستعمالهم الدليل العقلي فقط لإثبات صفة العلم ويثبت بأن علم الله تعالى عالم بكل المعلومات والله تعالى قادر على كل الممكنات ، وأنه حي بعلم وقدرة قديمة واحتياج الحادث إلى موجد لأنه لا يخرج شيء من العدم إلى الوجود إلا بعلم الله سبحانه وتعالى وقدرته وأن صانع العالم سبحانه واحد لا يشاركه أحد في ملكه ولا في صفة العلم . ذلولا الثقة في أن الله لا يمنحنا طبيعة مزيفة ، لما أمكننا التعويل على العقل في اكتساب المعرفة .

***قسم الغزالي الصفات المعنوية إلى سبعة صفات :** العلم – الكلام القديم – الإرادة – القدرة – السمع والبصر – الحياة ، أما صفة العلم فلها خصائص من أهمها القدم لأنها تتفق مع وجود الله الأزلي الأبدي ، وكذلك عدم تشبيه علم الله سبحانه وتعالى بعلم الإنسان حتى يجعل للعقل حدود وبذلك يصبح مخالفاً لفلاسفة اليونان ويبين الغزالي أن العلاقة وثيقة بين صفة العلم الإلهي والعلوم الطبيعية التي تشمل عالم الشهادة والأكوان من شمس وقمر وفلك ونجوم وكواكب لأن الهدف الاسمي من هذه العلاقة هو أن علم الله محيط بكل هذه الموجودات ، وهو يعلم الظواهر الفلكية وما بها من أحكام الشمس والقمر والأفلاك جميعاً .

*ومن الجدير بالذكر بأن الغزالي يبين صفة مفهوم العلم الإلهي بالنسبة لمسألة التأويل عند الفارابي وابن سينا ولذلك يستخدم المنهج النقدي وفند آرائهم لقولهم بقدم العالم ، متخذاً مصطلحات فلسفية وهي (الحدوث – العلم المحض – الخلق وغيرها).

ومنهجية الغزالي الموضوعية ظهرت عند ما لم ينقد الكندي لأنه يقول بحدوث العالم وإن الله يعلم الكليات والجزئيات وكان مخالفاً لأفلاطون وأرسطو لمفهوم العلم الإلهي ، والكندي هو فيلسوف العرب الأول وله رسائله الفلسفية .

أما موقف ابن رشد من الغزالي فنلاحظ أنه يتفق معه في بعض المسائل ويختلف عنه أحياناً ففي مسألة علم الله يميز ابن رشد بين علمنا بالأشياء وعلم الله بها : فيقول أن علمنا معلول للأشياء المعلومة فلا يمكن إذا تشبيه علمنا بعلم الله وليس هناك الاسم (العلم) فقط وهذا ما قاله الغزالي .

– العلاقة وثيقة بين صفة العلم والحياة عند ابن رشد حيث يقول (ومن الصفات التي تلحق بصفة العلم صفة الحياة إذ يظهر في الشاهد أن الحياة شرط لازم من شروط العلم فصح ذلك على الغائب مثل الغزالي تماماً .

– أما بخصوص علم الله بالجزئيات فيقول ابن رشد أن الجزئي متضمن في الكلي والدليل على ذلك أن الرؤية الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات التي ستحدث في الزمان .

– كل ما علينا أن نستخلصه من نقد ابن رشد للغزالي هو وقوف فيلسوف قرطبة إلى جانب العقل الإنساني أما الغزالي باعتباره صوفي يقف بجانب الكشف الإلهي

" المصادر والمراجع "

أولاً : المصادر :-

١. إحياء علوم الدين الجزء الأول – الثاني – الثالث – الرابع – منشورات محمد علي منصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان سنة الطبع ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .

٢. بداية الهداية : الغزالي – دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م .

٣. تهافت الفلاسفة – الغزالي تحقيق وتقديم د. سليمان دنيا – دار المعارف – الطبعة الثالثة القاهرة ١٢٧٧ هـ – ١٩٧٥ م .

٤. تهافت الفلاسفة ، وتهافت التهافت ابن رشد وثالثهما تهافت الفلاسفة للعلامة خوجة زاده أوجد علماء الروم في عصره المتوفي سنة ٨٩٣ – الطبعة الأولى – المطبعة الخيرية سنة ١٢١٩ هـ الغزالي .

٥. القسطاس المستقيم – دار المشرق – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩١ م.

٦. قواعد العقائد : الغزالي – تحقيق موسى محمد علي – عالم الكتب – الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م .

٧. ميزان العمل – الغزالي كتب هوامشه أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .

٨. معيار العلم في فن المنطق – الغزالي – دار الأندلس – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

ثانيا : مؤلفات ابن رشد :-

٩. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ابن رشد الجزء الأول والثاني – الناشر مصطفى الحلبي الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

١٠. تهافت التهافت ابن رشد الناشر مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الأولى بيروت – ١٩٩٨ م .

١١. تهافت التهافت ابن رشد تحقيق خوجة زادة المطبعة الخيرية الطبعة الأولى سنة ١٢١٩ هـ .

١٢. ضميمة في العلم الإلهي ابن رشد ضمن كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال قدم وعلم عليه د. البير نصري نادر – دار الشرق – بيروت – الطبعة الثامنة سنة ٢٠٠٠ م.

١٣. مناهج الأدلة في عقائد الملة تحقيق د. محمود قاسم مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ م .

ثالثا : المراجع :-

١٤. د. إبراهيم مذكور في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه – الجزء الأول – دار المعارف الطبعة الثالثة – ١٩٧٢ م .

١٥. د. أحمد محمود صبحي في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين الجزء الثاني – الأشاعرة – دار النهضة العربية – الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

١٦. الفارابي كتاب الملة ونصوص أخرى – تحقيق محسن مهدوي – دار المشرق بيروت لبنان الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠١ م .
١٧. الفارابي : كتاب الجمع بين رأي الحكيمين – علق عليه د. البير نصري نادر – دار المشرق بيروت لبنان – الطبعة الرابعة د. ت .
١٨. د. أميرة حلمي مطر – الفلسفة عند اليونان . دار النهضة العربية – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
١٩. الآمدي – غاية المرام في علم الكلام تحقيق أحمد فريد المريدي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.
٢٠. د. جرار جهامي – مفهوم السببية بين المتكلمين والفلاسفة دراسة وتحليل دار المشرق – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢ م .
٢١. جعفر آل ياسين ، الفكر الفلسفي عند العرب – دار المناهل للطباعة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
٢٢. د. عبد الحليم محمود – الفكر الفلسفي في الإسلام – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٤ م .
٢٣. عثمان الكليسي العرياني – خير القلائد شرح جواهر العقائد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٢ م .
٢٤. فخر الرازي ، المسائل الخمسون في أصول الدين – تحقيق أحمد حجازي السّقا – المكتب الثقافي للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ م .
٢٥. محمد عبد الله بن محمد البطليوسي – كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة صححه – محمد زاهد بن محسن الكوثري – الثقافة الإسلامية – الطبعة الأولى سنة ١٢٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .
٢٦. محمد عبده (الشيخ) رسالة التوحيد – دار النصر للطباعة سنة ١٩٦٩م. (الإسلام دين العلم والمدنية تحقيق طاهر الطناحر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤ م – ١٩٦٤ م .
٢٧. د. ماجد فخري – ابن رشد فيلسوف قرطبة – دار المشرق – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥ م .
٢٨. د. محمد يوسف موسى بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط العصر الحديث – الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
٢٩. موسى بن ميمون الفيلسوف الإسرائيلي القرطبي المتوفي عام ٦٠٥ هـ – المقدمات الخمس والعشرون في إثبات وجود الله ووحدانيته من دلالة الحائرين – شرح الحكيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد التبريزي صحح الكتاب – محمد زاهد الكوثري سنة ١٢٦٩ هـ .
٣٠. محمد بن درويش الحوت – رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة – علق عليه كمال يوسف الحوت – عالم الكتب – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
٣١. د. يحيى هويدي – دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية – دار الثقافة للنشر الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٢ م .

رابعا : المراجع المترجمة :-

٣٢. ج ت دي بور – تاريخ الفلسفة الإسلامية – نقله إلى العربية د. محمد عبد الهادي أبو ريـــدة – دار النهضة العربية – القاهرة – سنة ١٢٧٤ هـ – ١٩٥٤م .

٣٣. جورج سارتون : الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ترجمة د. عمر فروخ – الطبعة الأولى – بيروت – سنة ١٣٧٢ هـــ – ١٩٥٢ م .

خامسا : دوائر المعارف والموسوعات العلمية :-

٣٤. دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول والثاني يصدرها باللغة العربية أحمد الشناوي وآخرين – دار المعرفة – بيروت – لبنان ، د. ت .

٣٥. الموسوعة العربية الميسرة – المجلد الأول – د. محمود محمد محفوظ وآخـــرون – دار الجيـــل – الجمعية المصرية – الطبعة الثانية – ، د. ت .

٣٦. الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمة فؤاد كامل وآخرين ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣ م .

٣٧. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية : د. عبد الرحمن بدوي – المجلد الأول – الطبعـــة الأولـــى – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – القاهرة – سنة ١٩٨٧ م .

سادسا : المعاجم :-

٣٨. التعريفات – الجرجاني (السيد الشريف علي بن محمد ت ٨١٦ – ١٤١٢ م) الناشر مصطفى الحلبي سنة ١٢٥٧ هـ – ١٩٢٨ م .

٣٩. المعجم الفلسفي د. حبيل صليبا – الجزء الأول والثاني – دار الكتاب العالمي ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٤٠. المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين القاهرة ١٩٦٦ م

٤١. المعجم الفلسفي : د. عبد المنعم الحفني – الدار الشرقية – الطبعة الأولى – ١٤١٠ هـــ – ١٩٩٠ م .

٤٢. المعجم الفلسفي : معجم اللغة العربية – الهيئة العامة للشؤون الأميرية – سنة ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م .

مفهوم فلسفة اللغة عند ابن حزم الأندلسي

تمهيد

نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ونسلم على رسولك الذي آتيته الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الزلل وألهمته الصواب .

أما بعد

اللغة من أكرم النعم التي أسبغها الله على الإنسان في خلقه ، وجعلها خاصته التي تميزه من غيره من مخلوقات الحياة ، فهي سبيل اتصاله بمحيط أسرته وهي القالب الذي تفرغ فيه الأمة أفكارها ومفاهيمها وثقافتها .

***ولقد كانت هناك دوافع كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع بصفة خاصة وهي ما يلي :-**

- إن موضوع الجانب اللغوي عند ابن حزم دراسة تحليلية مقارنة يتناول الجوانب المضيئة في دراسة اللغة عند ابن حزم من خلال مؤلفاته الخاصة مثل كتاب الإحكام في أصول الأحكام ، والفصل في الملل و الأهواء والنحل ، وطوق الحمامة ، والتقريب لحد المنطق .

- إن هذه الدراسة تتناول موضوعات حيوية عند ابن حزم في مجالات علم اللغة مثل حد اللغة مميزات علم اللغة ، نشأة اللغة ، ميتافيزيقا اللغة ، كل هذه الدراسات نطلق عليها فلسفة اللغة .

- تبرز هذه الدراسة تميز ابن حزم في الدراسات اللغوية لأنه كان أديباً ودقيقاً في اختيار الألفاظ والعبارات وبعدها عن التعقيد ، وكيفية اهتمامه بفقه اللغة أي تطبيقاتها وتخصصاتها .

- وسنعتمد في عرض هذا البحث على أنواع من المناهج :-

١-المنهج الوصفي في تحليل ومعرفة اللغة عند ابن حزم ،واستخدامه في تفضيل اللغة العربية.

٢-المنهج النقدي واستخدامه في نشأة اللغة هل هي توقيفية أم اصطلاحية .

٣- المنهج المقارن في مقارنة اللغة العربية بغيرها من اللغات المختلفة.

٤- المنهج التاريخي لتحديد الفترة الزمنية لنشأة اللغة في عصر ابن حزم ، والاهتمام بدراسة اللغة العربية في القرن الرابع الهجري ، وتاريخ مولده ، ووفاته .

***وسوف نقوم بتقسيم هذا البحث إلى عدة نقاط وهي :-**

١- اسمه ومولده – ثناء العلماء عليه – أخلاقه – شيوخه – مؤلفاته – وفاته .

٢- الاهتمام بالجانب اللغوي في القرن الرابع الهجري أي عصر ابن حزم – حد اللغة .

٣- مشتقات علم اللغة عند ابن حزم – وميتافيزيقا اللغة عنده .

٤- ثم تعقيب وفهرساً للموضوعات – وفهرساً للمصادر والمراجع .

وإن جهد ابن حزم اللغوي ظهر في تقنين أصول اللغة ، ووضع الضوابط الضرورية لها . ومن ثم تطبيقها على النصوص والوثائق اللغوية،من خلال تصنيفاته للغة مثل علم النحو والشعر

*ولقد توجهت هذه الدراسة البحث أصل اللغة وعلاقتها بالعلوم الأخرى عند ابن حزم وكذلك إشكالية أصل ونشأة اللغة ، وميتافيزيقا اللغة عنده وعلاقتها بالمذهب الظاهري.

* وتبرز هذه الدراسة كيفية استخدام المنهج النقدي عند ابن حزم في دحض القائلين بالتواضع والاصطلاح مستخدما الأدلة النقلية ، من القرآن الكريم لإثبات أن اللغة توقيفية .

وكذلك استخدام المنهج التحليلي في اللغة عند ابن حزم ، ويتجلى ذلك في علاقة المنطق بالنحو وعلاقة اللغة بالفكر وعلاقتها بالمجتمع ، وأيضاً في تطبيقات علم اللغة أي فقه اللغة .

*وفي نهاية هذا البحث سيتبين لنا أن ابن حزم نظر إلى اللغة على أساس أنها كيان مستقل لا يمكن تجزئته وعزل عناصره ، وعلى يديه صار موضوع علم اللغة الوحيد الصحيح هو اللغة معتبرة بنائها ومن أجل ذاتها ، وأنه استفاد من اللغة لبيان قيمة منهجه العلمي في مناقشة العقائد المختلفة التي سادت الساحة الفكرية الإسلامية في عصره ، لاعتقاده المذهب الظاهري .

اسمه ومولده وصفته:-

((هو الإمام الحافظ ، أبو حجر محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ، أصل جده من فارس ، اسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل المغرب منهم وكانت بلدهم قرطبة فولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة))[١]

***ثناء العلماء عليه :**

((قال أبو حامد الغزالي : وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه)). [٢]

وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد : ((كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور خظه من البلاغة والشعر)).[١]

***أخلاقه – رحمه الله – :-**

* ((قال الدكتور عبد الحليم عويس : أبرز أخلاق ابن حزم صفتان تتفرع عنهما كل سلوكياته ما قبله الناس وما لم يقبلوه وهما وفاؤه وتدينه ويحكي هو لنا عن وفائه فيقول إبن حزم الظاهري: ولقد منحني الله – عز وجل – من الوفاء لكل من يمت إلى بلقية واحدة ، ووهبني من المحافظة لمن يتزمم مني ولو بمحادثه ساعة حظا أنا له شاكر وحامد ، ومنه مستمر ومستزيد ، وما شيء أثقل على من الغدر)) [٢]

* **مؤلفاته – رحمه الله – :**

ثمة إجماع بين المؤرخين على أن ابن حزم من أكثر أهل الإسلام تصنيفاً ، ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية تلميذ ابن حزم صاعد ((له كتاب الإحكام في أصول الأحكام في غاية التقصي وإيراد الحجج ، وكتاب ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) وكتاب في الإجماع وماسائله على أبواب الفقه)) وغيرها من الكتب الكثيرة .

* **وفاته :** ((وفي ليلة الاثنين ٢٨من شعبان منه ٤٥٦هـ ١٥يوليو ١٠٦٤م وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي والجدال في سبيل الحق، والصدق في الإيمان، توفي ابن حزم بعد عمر يبلغ اثنين وسبعين سنة)) [٣]

---

[١] البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق مكتب التراث ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعه ، جـ١٢ ، ١٩٩٣م ، ص١١٣.
[٢] سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٩٦م ، ص ١٨٧.
[١] المصدر السابق ، نفس الصفحة .
[٢] تراجم أعلام السلف ، د.أحمد فريد ، دار الإيمان الإسكندرية ، والطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م ، ص٥٦١.
[٣] تراجم أعلام السلف ، د.أحمد فريد ، مرجع سابق ، ص٥٦١.

– **أولاً :– الاهتمام بالجانب اللغوي في القرن الرابع الهجري** وهو عصر ابن حزم يقول دي بوْر ((كان علماء المسلمين في القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري)) يقسمون العلوم إلى علوم عربية وإلى علوم الأوائل أو العلوم العربية ، وكان من الأولى عندهم علوم اللسان * والفقه ، والكلام والتاريخ [١]،ويؤكد دي بور على الاهتمام بعلم اللغة حيث يقول ((كان للعرب شغف خاص بلغتهم ، وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة في المفردات *، ووفرة في صور التعبير ، وبما في طبيعتها من قبول للاشتياق خليفة أن تتبوأ مكانها بين لغات العالم)) [٢]

*** ثانياً حد *اللغة عند ابن حزم :–**

فيما سبق تحدثنا عن الاهتمام باللغة وفروعها في القرن الرابع الهجري وهو عصر ابن حزم والآن نتحدث عن تعريف علم اللغة عند ابن حزم فيقول عن اللغة : ((ألفاظ يعبر بها عن السمات وعن المعاني المراد إفهامها ولكل أمة لغتهم ، قال الله عز وجل چ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ چ)) سورة إبراهيم الآية ٤. [٣]

من النص السابق يتضح لنا أن ابن حزم يستنبط علم اللغة من القرآن الكريم باعتباره من الرعيل الأول ، لذلك يقول ابن العجاج وهو من فقهاء علم اللغة ، عن مميزات الرعيل الأول في دراسة اللغة ((فقد اتجه الرعيل الأول ، من العلماء إلى جمع اللغة من ثلاثة مصادر رئيسية :

أولها : القرآن الكريم : فقد أقبل العلماء منذ البداية على جمع مفردات القرآن الكريم وتحديد معانيها.

وثانيهما: ما ورد في الشعر * الذي يحتج به من جاهلي وإسلامي وفيه كثير من الغريب

والثالث : سماع الأعراب في البادية ، وكثيراً ما كانوا يخرصون إليها ، ويمضون الأعوام فيها، ويخالطون الأعراب ، وقد كثر ذلك في العهد الأموي إلى العصر العباسي الأول ما بعده))[١]

ويمضي ابن حزم في تعريف علم اللغة من خلال البيئة العربية حيث يقول ((وأما علم اللغة فإلى ما سمع أيضا من العرب بنقل الثقات المقبولين أن هذه هي لغتهم))[٢]

---

* علوم اللسان : علم اللسان في الجملة ضربان :
- أحدهما - حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شيء شيء منها .
- والثاني - علم قوانين تلك والألفاظ .
والقوانين في كل صناعة : أقاويل كلية ، أي جامعة ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشمل عليه ثلث الصناعة ، حتى يأتي على جميع الأشياء .
(إحصاء العلوم : الفارابي قدم له وشرحه د،على بوملحم، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م، ص١٧.

[١] تاريخ الفلسفة في الإسلام ، أ.دي بور ، ترجمة ، د.محمد عبد الهادي أبوريده ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م ، ص٥٥.

* المفردات : وأما المفرد ، فعبارة عن ما يدل على معنى ، جزء له يدل على معنى أصلاً حتى يقال هو جزؤه كالإنسان والفرس ونحوهما (كتاب المبين في شرح الألفاظ الحكماء والمتكلمين ، والأمدي ، تحقيق د.عبد الأمير الأعسم ، دار المناهل للطباعة الطبقة الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ، ص٤٨.

[٢] تاريخ الفلسفة في الإسلام ، دي بور ، تحقيق د.عبد الهادي أبوريده ، مرجع سابق ، ص٥٥

* حد اللغة قال أبو الفتح ابن جني في خصائص :حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وقال ابن الحاجب في مختصره : حد اللغة : كلُّ لفظ وضيغ لمعنى وقال الأسنوي في شرح منهاج الأول : اللغات : عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني .
المزهر في علم اللغة وأنواعها - السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين ، دار التراث ، القاهرة ، جـ١ ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٢٧.

[٣] الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق د.محمود حامد عثمان ، جـ١ ، ص٦١.

* الشعر : يقول ابن حزم ((هذه صناعة قال فيها بعض الحكماء : كل شيء يزينه الصدق إلا الساعي والشاعر، فإن الصدق يشينهما فحسبك بما تسمع ، وقال المتقدمون : الشعر كذب ولهذا منعه الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقال تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ □چسورة يس الآية ٦٩ وأخبر تعالى أنهم يقولون مالا يفعلون ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإكثار منه .

رسائل ابن حزم ، تحقيق د.حسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، جـــ ٤ الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، ص٣٥٤.))

[١] اللغة في أراجيز رؤية بن العجاج ، تحقيق ، د.عمر عبد المولى ، منشأة المعارف الإسكندرية ، بدون طباعة ،١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ،٧

[٢] رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، جـ٤ ، مصدر سابق ، ص٣٤٩.

واللغة عند ابن حزم تعبر عن الألفاظ والمسميات والمعاني ، ويستدل على ذلك بالأدلة النقلية فيقول ((اللغة يعبر عن المسميات والمعاني * المراد إفهماها ولكل أمة لغتهم قال عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ سورة إبراهيم:الآية ٤ ولا خلاف في أنه أراد اللغة))[٣].

والقرآن الكريم عند ابن حزم هو أساس اللغة نظراً لدلالات الإعجاز الكثيرة فيه ، ويقول عنه أ.جلال العشري في كتابه حقيقة الفلسفات الإسلامية ((وذهب ابن حزم أن الله منع من معارضته فقط ، وحال بين الناس وبين ذلك ، وكساه الإعجاز وسلبه جميع الخلق ، وأن قليله وكثيرة معجز لأن الله تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله))[٤] ، وعن حد اللغة يقول ابن حزم ((وعلم اللغة: مسموع كله فقط))[٥] ،وهناك دلائل الإعجاز للجرجاني لمن يريد الإطلاع.

*** مشتقات علم اللغة عند ابن حزم :-**

من أهم مشتقات علم اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية ، علم النحو * وعلم العبارة *ويعرف لنا ابن حزم علم النحو فيقول ((وأما علم النحو فإلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين نريد معرفة تفاهمهم للمعاني بلغتهم ، وأما العلل فيه مفاسدة جداً))[٦].

وفي مكان آخر يتحدث ابن حزم عن أقسام علم النحو حيث يقول ((وعلم النحو ينقسم إلى مسموعه القديم وعلله المحدثة))[١] بعد أن تحدث ابن حزم عن علم النحو وأقسامه يتحدث عن علم العبارة باعتباره أحد مشتقات علم اللغة فيقول ((وأما علم العبارة : فهو طبع في المعبر مع عون العلم عليه . ولا يقطع بصحته إلا بعد ظهور ذلك عليه لا قبله))[٢]

*** نشأة* علم اللغة عند ابن حزم:-**

فيما مضى تحدث ابن حزم عن حد اللغة ، واستنباط اللغة من القرآن الكريم ، ومشتقاته علم اللغة بعد ذلك يتحدث عن أهم النظريات اللغوية في نشأة اللغة ، وهما نظرية الموافقة والإصطلاح ((وقد عنى ابن حزم بهذا الموضوع ، وكانت له فيه آراء قيمة تدل على مدى فهمه العميق لأهمية اللغة ، وقد انقسمت الآراء على كثرتها ، في هذا الموضوع منذ منتصف القرن الرابع الهجري وما بعدها قسمين :-

---

* المعاني : هي الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل ، فمن حيث إنها نقصر باللفظ سميث معنى ، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً ، ومن حيث إنه مقول في جواب ما هو سميت ما هية ، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة ومن حيث امتياز عن الأغيار سميت هوية (التعريفات - الجرجاني - تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م ، ص٢١٨.

[٣] رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، جـ٤ ، مصدر سابق ، ص٤١١.

[٤] حقيقة الفلسفات الإسلامية ، أ.جلال العشري ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، ص٨٩.

[٥] رسائل ابن حزم ، جـ٤ ، مصدر سابق ، ص٤١١.

* علم النحو : ((هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء ، وغيرها ، وقيل : النحو علم يعرف بأحوال العلم من حيث الإعلال ، وقيل : علم أصول يعرف بها صحة الكلام وفساده))التعريفات ، الجرجاني ، ص٢٣٦.

* علم العبارة ((هي النظم المعنوي المسوق له الكلام ، وسميت عبارة لأن المستدل يبرهن النظم إلى المعنى (الجرجاني ، ص١٤٩).

[٦] رسائل ابن حزم ، جـ٤ ، مصدر سابق ، ص٣٤٩.

[١] رسائل ابن حزم ، جـ٤ ، مصدر سابق ، ص٧٩.

[٢] المصدر السابق ، ص٨١.

* ((نشأة اللغة تعني واضع اللغة ، أتوقيفٌ هي ووحي ، أم اصطلاح وتواطؤا ، قال أبو الحسين أحمد بن فارس في فقه اللغة : أعلم أن لغة العرب وتوفيق ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ﷺ ﷺ ﷺ ﴾ وأسماء الدابة والأرض والسهول والجبل ، وقال ابن جني في الخصائص وكان هو شيخه أبو على الفارس معتزليين ، قال ابن جني أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لاوحي ولا توقيف)) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، جـ١ ، ٨-١٠.

١- فذهب قوم أن اللغة اصطلاح ومواضعه ، وكان معظم هؤلاء من المعتزلة الذين فسروا كل شيء مما ينسجم ومنطق العقل .

٢- وذهب آخرون إلى أن اللغة توقيفيه وإلهام من الله ، وفي مقدمة هؤلاء أحمد بن فارس وإلى مثل هذا أيضاً يذهب ابن جني في كتاب الخصائص))[٣]

*** موقف ابن حزم من نظرية الاصطلاح في اللغة :**

يبين ابن حزم هذه النظرية في كتابه الإحكام في أصول الأحكام في الجزء الأول من الباب الرابع ويضع لها عنواناً حيث يقول ((في كيفية ظهور اللغات أعن توقيف أم عن اصطلاح ؟))[٤] والآن نفصل القول في رأي ابن حزم بقوله إن اللغة توقيفية حيث يقول ((والصحيح من ذلك أصل الكلام توفيق من الله-عز وجل بحجة سمع وبرهان ضروري))[٥].

ويستدل ابن حزم على أن اللغة توفيقية من خلال الحجج والبراهين :-

- فالحجة الأولى عنده :-

وهي حجة السمع حيث يقول ((فأما السمع فقول الله عز وجل - چ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ چ)) سورة البقرة الآية ٣١ .[١]

*** الحجة الثانية :-**

وهذه الحجة يستخدمها ابن حزم للرد على من يقول بنظرية الاصطلاح وهي الضروري فيقول ((وأما الضروري بالبرهان : فهو أن الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أن يصطلح عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم وتدريب عقولهم ، وتمت علومهم ، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم وعرفوا حدودها واتفاقها واختلافها ،وطبائعها ، وبالضرورة نعلم أن بين أول وجود الإنسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جداً يقتضي في ذلك تربية وحياطة وكفالة))[٢] ويقول عن توقيفية اللغة أيضا ((فالذي اكتمل له الذهن والعلم بالأشياء الموجودة في العالم وعرف حدودها وطبائعها آدم * عليه السلام ، هبه وعطاء من الله عز وجل فهو الذي علمه الباري بعلم من لدنه لقوله تعالى چ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ چ سورة البقرة:الآية ٣١))[٣]

- رفض ابن حزم القول بأن نشأة اللغة ترجع إلى الطبيعة * :

يرفض ابن حزم أن تكون نشأة اللغة نتاج الطبيعة لأن الطبيعة واحدة والسبب في ذلك :

---

[٣] الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، صلاح رسلان ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، د.ت ، ص٨٢.

[٤] الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، جـ١ ، ص٤٤.

[٥] المصدر السابق ، نفس الصفحة.

[١] الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، جـ١ ، ص٤٤.

[٢] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

* آدم معجزة آدم فتق لسانه في مفتتح نبوته بما لم تعلمه الملائكة على خلاف مجرى العادة .وكان مفتتح المعجزات ومختتمها في آدم ومحمد عليهما السلام بالكلام ، وقيل : علم الله تعالى آدم الأسماء على جميع اللغات التي تكلم بها أولاده .(كتاب الملة ونصوص أخرى ، الفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ ، ص٩٨.)

[٣] الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، جـ١ ، ص٤٥.

* نشأة اللغة من الطبيعة (يذهب : أصحابها إلى أن اللغة نشأة من الأصوات الطبيعية إلى التعبير عن الإنفعالات ، وأصوات الحيوان ، وأصوات مظاهر الطبيعة ، وارتقت تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجيات الإنسان (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، جرجي زيدان ، تعليق د.مراد كامل ، دار الهلال ، ١٩٦٩م ، ص٥٨.)

أ- يهمل ابن حزم الطبيعة إهمالاً تاماً لعجزها عن التعبير والحقيقة .

ب- الطبيعة والحقيقة من صنع الله ، وأن الباري هو الذي يعلم الإنسان .

ج- والسبب الرئيسي لرفض ابن حزم للطبيعة لأنه يقول بنظرية أن اللغة توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم آدم الشجر والدواب والسهول والجبال.

لذلك يقول ((وصح أن ما علم من ذلك مما هو مبتدأ من عند الخالق تعالى .

مما ليس في الطبيعة معرفته ، دون تعليم فلا يمكن البته معرفته إلا بعلم علمه الباري إياه ، ثم علم هو أهل نوعه ما علمه ربه تعالى)).

ويؤكد ابن حزم على أن اللغة ليست من الطبيعة بل هي اصطلاحه حيث يقول ((فإن الاصطلاح على وضع اللغة لا يكون إلا بعلم متقدم بين المصطلحين علي وضعها بإشارات قد اتفقوا علي فهمها وذلك الاتفاق على فهم تلك الإشارات لا يكون بكلام ضرورة ومعرفة حدود الأشياء وطبائعها التي يمر عنها بألفاظ اللغات لا يكون إلا بكلام وتفهيم لابد من ذلك ، فقد بطل الاصطلاح على ابتدأ ولم يبقى إلا أن يقول قائل : إن الكلام فعل الطبيعة)).[1]

من خلال النصوص السابقة لابن حزم يتبين لنا أن أدلته قوية ومتينة لذلك يقول عنه أ.وديع واصف الصافي في كتابه موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق ((واللافت للنظر أن الكلام عند ابن حزم مرتبط أوثق ارتباط بالمعرفة ، بل أن اللغة عنده هي المعرفة * ونحن كثير فانون ، لا تستطيع خلق هذه المعرفة ، وبما أن من المستحيل على الإنسان أن يعيش من غير معرفة فلابد من وجود إله خالق فاعل وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق اللغة والمعرفة وعلمها للإنسان))[2]هذا هو تفسير إبن حزم في نشأة اللغة التوقيفية

*** أصل اللغات عند ابن حزم :-**

يرى ابن حزم أن اللغات تعود في الأصل إلي لغة واحدة وهي السريانية* حيث يقول ((وإذا تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً ، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية .

- إسماعيل - عليه السلام - فهي لغة ولده .
- والعبرانية* لغة إسحاق ولغة ولده.
- والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم)) .[1]

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، جـ١ ، ص٤٥.

* المعرفة ما وضع ليدل علي شيء بعينه وهي المضمرات والإعلام ،وإدراك الشيء علي ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم (التعريفات- الجرجاني ، ص ١١٨ .

[2] موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق ،وديع واصف الصافي ،ص ٢٦٩ .

* السريانية : ((كانت لغة واحدة تتكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد ، وإنها بعد أن قدر للناطقين بها الفراق أخذت تتنوع لمقتضيات أحوال كل فريق منهم وهذا الاختلاف قد جرى على ناموس الإبدال))(الفلسفة اللغوية ، جرجر زيدان ، ٦١).

* العبرانية : قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الإشارة ويكون الناطقين لأهم أوضح الأهم منشأ وللغة التي يتكلم بها الإسرائيليون اليوم العبرانية صرفا،بل خلطها بعض الألفاظ الآرامية أو الكلدانية أثناء أسرهم عند البابليين ومحور ما ألف في هذه اللغة إنما هو العهد القديم ،ويتفرغ منها الفينيقية والقرطجنية)) (الفلسفة اللغوية ،جرجي زيدان ص٣٢)

[1] الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، جـ١ ، ص٤٧.

ويقول جرجي زيدان عن السريانية ((كانت لغة واحدة ستعلم منها أمة واحدة تحت لواء واحد وأنها بعد أن قُدر للناطقين بها الفراق أخذت تتنوع تبعاً لمقتضيات أحوال كل فريق منهم)).[٢]

ويستمر ابن حزم في تفسيره لأصل اللغات ، ويبين بأنها توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى ، ويضع قانون لها بمعنى أن كل لغوي عندما يريد أن يصرف لفظ لابد أن يأتي بنص من القرآن الكريم لكي يبرهن علي ذلك فيقول (فلا يحل لأحد صرف لفظة معروفة المعنى في اللغة عن معناها الذي وضعت له في اللغة التي بها خاطبنا الله تعالي في القرآن إلي معنى غير ما وصفت له إلا أن يأتي بنص قرآني أو كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع عن علماء الأمة كلها)). [٣]

ويرجع ابن حزم أصل اللغات كلها إلى الله تعالى فيقول ((قال أبو محمد فنقول وبالله تعالى التوفيق أن التسمية والحكم ليس إلينا وإنما هما إلى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الأشياء ومرتبها كما شاء لا إله إلا هو قال عز وجل منكراً علي من سمي من قبل نفسه چ

أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ چ سورة الأعراف: الآية ٧١ وقال تعالى چ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ چ سورة الإسراء:الآية ٣٦ [٤]

ميتافيزيقا * علم اللغة عند ابن حزم :

من الموضوعات الميتافيزيقية التي تختص باللغة عند ابن حزم وهى لغة :-

- أهل الجنة .

- ولغة أهل النار .

ونلاحظ أن ابن حزم لا يتحدث عنهما إلا عن طريق النص والإجماع *، وكان المغزي الميتافيزيقي في هذه النظرية اللغوية التي تطرق إليها ، هو المهمة الفلسفية الكبرى ، حيث يقول ((وأما لغة أهل الجنة وأهل النار فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع في ذلك إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ولا يخلو ذلك ، من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها)).

١- إما أن تكون لهم لغة واحدة من اللغات القائمة بيننا الآن .

٢- وإما أن تكون لهم لغة غير جميع هذه اللغات .

٣- إما أن تكو ن لهم لغات شتى .

تكو ن هذه المجاورة التي وضعها الله تعالى توجب القطع بأنهم يتفاهمون بلغة إما بالعربية المختلفة في القرآن عنهم أو بغيرها مما الله تعالى أعلم به [١]

---

[٢] الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، ص٦١.

[٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل ،ابن حزم ،جـ١ ،ص٤٠٩

[٤] المصدر السابق، ص١١٠

* ميتافيزيقا : يرجع لفظ ما بعد الطبيعة أو ميتافيزيقا إلى أحد أتباع أرسطو اسمه أندورنيقوس وقد عنى بترتيب كتبه ، فوجد لواحد ثلاثة أسماء ، هي الحكمة ، والفلسفة الأولى ، والعلم الإلهي ، لاشتماله على ثلاث مباحث كبرى ، أولها مبادئ المعرفة إطلاقاً ، والثاني الأمور العامة لوجود والثالث الألوهية رأس الوجود (المعجم الفلسفي ، د.مراد وهبه وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص١٤٥) .

* الإجماع : الإجماع في اللغة هو ما اتفق عليه اثنان فصاعداً ، وهو الاتفاق ، وهو حنيئد ، مضاف إلى من أجمع عليه ، وأما الذي تقوم به الحجة في الشريعة فهو ما نتيقن أن جميع الصحابة رضي الله عنهم رانوا به عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم وأما ما لم يكن إجماعاً في الشريعة فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم وسكت بعضهم عن الكلام فيه (رسائل ابن حزم ، جـ٤ ، ص٤٠٩) .

[١] الإحكام في أصول الأحكام ،ابن حزم ،ج١ ،ص٤٩.

ويتحدث أيضاً عن لغة الأنبياء : فيقول ((فاقضي أن موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام ،كانت لغتهم العربية لأن كلامهم محكي في القرآن عنهم بالعربية فإن قلت :هذا كذبت ربك ،وكذّبك ربك في قوله چ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ چ سورة إبراهيم الآية: ٤ فصح إن الله تعلى إنما يحكى لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي بها نتفاهم ليبين لنا عز وجل ، فقط حروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها)) [٢]

***ومن أهم الجوانب الميتافيزيقية عند ابن حزم في علم اللغة وهي ما يلي :**

١ــ التفاضل بين اللغات بعضها عن بعض .

٢ــ لغة أهل النار.

وفي ذلك يقول(وقد أوعي بعضهم أن اللغة العربية هي لغتهم) واحتج بقول الله عز وجل چ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ چ سورة يونس:الآية ١٠فقلت له :فقل أنها لغة أهل النار ،لقوله تعالى عنهم أنهم قالوا چ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ چ الأعراف:٥٠ ولأنهم قالوا چ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ چ سورة الملك الآية ١٥ [١]

***العلاقة بين المذهب الظاهري والميتافيزيقا في علم اللغة عند ابن حزم الأندلسي الظاهري :**

ولكي يرهن ابن حزم علي أصول المذهب الظاهري* نجد أنه يرفض التأويل أو تخريج النصوص عن معناها، لذلك يقول عنه أ.صلاح الدين بسيوني في كتابه الأخلاق والسياسة عند ابن حزم (ومن هنا كان تشدده في رفض أي تأويل* أو تخريج للنصوص أو إحالة لها عن معناها إلى معنى آخر.أو المراد باللغة الإفهام والتوضيح لا الإشكال والتعمية، ووجب علينا بالتالي أن نلزم الأصل الذي هو اختصاص كل معنى بإسمه دون أن يشاركه فيه غيره ومن هنا أيضاً تجلت خلاصة اللغة الميتافيزيقية والدينية في معانيها الظاهرية المباشرة لها[٢] ونجد أن خلاصة اللغة الميتافيزيقية والدينية عند ابن حزم تتمثل في المعني المباشر للألفاظ المعاني والحروف حيث يقول ((ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها ولا خبراً عن ظاهرة لأن الله تعالي يقول چ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ چ سورة الشعراء :الآية ١٩٥. وقال تعالي ذما للقوم چ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ چ سورة المائدة الآية ١٣ . ومن أحال نصاً عن ظاهرة في اللغة بغير برهان من آخر* أو إجماع فقد ادعى :أن النص لابيان فيه . وقد حَّرف كلام الله تعالي ووحيه إلي نبيه صلي الله عليه وسلم عن موضعه وهذا عظيم جدامع أنه لو من هذه الكبائر لكان مدعياً بلا دليل)) [٣] ، ومن خلال النص السابق لإبن حزم الظاهري يتضح لنا أن اللغة الميتافيزيقية مرتبطة بمذهبه الظاهري ، لن الطريقة الظاهرية عند ابن حزم كالطريقة النحوية يجب اخذ النصوص بمعناها الظاهري لأن خلاصة اللغة الميتافيزيقة والدينية تكمن في المعنى المباشر للمعنى الظاهري ، إذا العلاقة وثيقة بين ميتافيزيقا اللغة ومذهب إبن حزم الظاهري .

---

[٢] المصدر السابق ، نفس الصفحة .

[١] الإحكام في أصول الأحكام ،ابن حزم ،ج١ ،ص٤٩ .

* المذهب الظاهري :فينسب إلى مؤسسه (داود علي الأصبهاني) الذي أظهر القول بظهرية الشريعة وأخذ الأحكام من ظواهر النصوص من غير تعليل لها فهو بذلك أول من إنتحل الظاهر ،ونفى القياس من الأحكام قولاً واطر إليه فعلاً (خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري د.عبد القادر رحيم الهيثمي ، جامعة قاريو نس ،ط الثانية ـ ١٩٩٣ م ص٢٨

[٢] الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، صلاح الدين بسيوني ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، بدون ج١ ، ص٧٣ .

* التأويل: (التأويل مشتق من الأول وهو في للغة الترجيح ، تقول أوله إليه رجعه،وقال ابن رشد : ((التأويل)) إخراج دلالة للفظ من الحقيقة إلي الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء)) (المعجم الفلسفي ـ د.جميل صليبا ـ جـ١،ص١٢٤) .

[٣] النبذه الكافية في أحكام أصول الدين ، ابن حزم ، تحقيق أ. محمد حسن عبد العزيز ، بيروت ، لبنان ، ص١٥ .

تعقيب

* مما سبق يتضح لنا أن إبن حزم كان جده فا رسياً ومسقط رأسه قرطبة .

* من خلال المجالات الحيوية التي تناولها ابن حزم في دراسة اللغة، يتبين لنا أنه كان علماً من أعلام أللغة ، وله نصيب وافرمن علم النحو وللغة وتميزه ببلاغة العبارة ودقة الأسلوب .

* يؤكد ابن حزم علي أهمية تعريفات اللغة في حياتنا اليومية ، لذلك نقول أن جهد ابن حزم اللغوي ظهر في تقنين أصول اللغة ، ووضع الضوابط لها من خلال مؤلفاته الخاصة .

* لقد تناول ابن حزم مشتقات اللغة مثل علم النحو والعبارة والشعر والبلاغة .

* قسم ابن حزم نشأة اللغة إلى قسمين وهما اللغة التوقيفية واللغة الاصطلاحية وشرحهما بالتفصيل ، وأثبت بأن اللغة توقيفية إي أنها من عند الله سبحانه وتعالى .

*وهكذا فقد تبين لنا بعد استعراض آراء ابن حزم في ميتافيزيقا اللغة نجد أنه تحدث عن لغة أهل الجنة ولغة أهل النار ، وتحدث أيضا عن لغة الأنبياء .

* لقد استفاد ابن حزم من دراسة اللغة في تأسيس منهجه العلمي وفي الدفاع عن مذهبه الظاهري .

* تناول ابن حزم نشأة اللغة عند المعتزلة وذكر ذلك بالتفصيل في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ، بقولهم أن اللغة إصطلاحية لأن اللغات لا تدل على مدلولاتها كالدلالة العقلية .

* من الجدير بالذكر بأن ابن حزم يتفق مع أبو الحسين أحمد بن فارس على أن اللغة توقيفية ويستدل على ذلك من خلال الأدلة النقلية لقوله تعالى چ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا چ سورة البقرة: الآية ٣١ .

*من أهم الجوانب الميتافيزيقية لدراسة علم اللغة عند ابن حزم بأنه يفسر لغة أهل الجنة ولغة أهل النار فذكر أن آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية ، فلم ثاب رد الله عليه العربية .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

* القرآن الكريم .

١. إحصاء العلوم : الفارابي قدم له وشرحه د،على بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م.

٢. الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق د.محمود حامد عثمان ، جـــ١ .

٣. الأخلاق والسير ، ابن حزم ، تحقيق ايفا رياض ، دار ابن حزم ، بيروت ، للبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م .

٤. الأصول والفروع ، ابن حزم ، تحقيق ، د.عاطف العراقي وآخرون ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـــ -٢٠٠٤م

٥. البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق مكتب التراث ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعه ، جـــ١٢ ، ١٩٩٣م.

٦. التعريفات – الجرجاني – تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـــ – ٢٠٠٢م

٧. رسائل ابن حزم ، تحقيق د.احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، جـــ ٤ الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .

٨. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٩٦م .

٩. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس .

١٠. طوق الحمامة، تحقيق أبو المنذر سعد كريم الفقي، دارابن خلدون، الإسكندرية، بدون طبعه

١١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، المطبعة الأدبية ، الطبعة الأولى ، جـــ٣ ،جـــ٤ ، ١٣١٧هـــ

١٢.كتاب المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، والآمدي ، تحقيق د.عبد الأمير الأعم ، دار المناهل للطباعة، الطبقة الأولى ١٤٠٧هـــ -١٩٨٧م.

١٣. اللغة في أراجيز رؤية بن العجاج ، تحقيق ، د.عمر عبد المعطى ، منشأة المعارف الإسكندرية ، بدون طباعة ، ١٤١٠هـــ – ١٩٨٩م .

١٤. المزهر في علم اللغة وأنواعها ، السيوطي ،تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين ، دار التراث ، القاهرة ، جـــ١ ، الطبعة الثالثة .

١٥. النبدة الكافية في أحكام أصول الدين ، ابن حزم ، تحقيق أ. محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م.

المراجع :-

١. ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، د. عبد الحليم عويس ، الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٢. الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، صلاح الدين بسيوني، مكتبة نهضة الشرق ،جامعة القاهرة ، بدون ج١ ، بدون طبعه .

٣. تاريخ الفلسفة في الإسلام ، أ.دي بور ، ترجمة ، د.محمد عبد الهادي أبوريده ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

٤. تراجم أعلام السلف ، د.أحمد فريد ، دار الإيمان الإسكندرية ، والطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م.

٥. حقيقة الفلسفات الإسلامية،أ.جلال العشري، الدارالمصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م

٦. خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري ، د.عبد القادر رحيم ، جامعة قاريونس ، الثانية ، ١٩٩٣ م .

٧. الفكر المنطقي الإسلامي ، دراسة في جهود ابن حزم الأندلسي ، محمد فرحات ، منشورات ، مكتبة شام ، بدون طبعة ، ١٩٨٨م ، العراق .

٨. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، جرجي زيدان ، تعليق د.مراد كامل ، دار الهلال ، ١٩٦٩م .

٩. كتاب الملة ونصوص أخرى ، الفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ .

١٠. المعجم الفلسفي ، د.جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب ، جـ١،١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١١. المعجم الفلسفي ، د.مراد وهبه وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٢. موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق ،وديع واصف الصافي مصطفى ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م .

نظرية الفعل الإنساني عند الفارابي

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ومن ولاه إلى يوم الدين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

أما بعد :

فقد توجهت بقراءاتي هذه إلى أحد أعلام تراث الفكر الإسلامي بحثاً عن شخصية تكون علامة بارزة في عصرها ، وهو المعلم الثاني ((الفارابي)).

وهذا الفيلسوف ترك بصمات واضحة في مجال الفلسفة الأخلاقية ونقوم بإبراز حقيقته في هذا البحث للإستفادة منه في حياتنا العملية.

ولقد كانت هناك دوافع كثيرة متنوعة دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهو ((المسؤولية والجزاء في فلسفة الفارابي الأخلاقية)) لأن هذا البحث يساعد على إحياء الدراسات الأخلاقية المشرقة لكي تكون نبراساً لنا في حياتنا اليومية وفي معاملة الآخرين .

ويفسر لنا الفارابي سمات وخصائص الفعل الإنساني الذي يؤدي إلى الأخلاق الحميدة والقدوة الحسنة ، من خلال دعائم الإلزام الداخلي النابع من الإيمان وضمير الإنسان ، لكي يقوم الإنسان بالتمسك بالفضائل الأخلاقية ، ويبتعد عن الرذائل ، أما أهم الفضائل فهي العلم ، الخشوع ، الصبر والفضائل النظرية ، والفكرية - والخلقية والعملية .

والرذائل : مثل رذيلة الحقد ، والحسد، ورذيلة الجبن ، ورذيلة المخادعات والغرور .

***وسنعتمد في عرض هذا البحث على عدة أنواع من المناهج :-**

١- المنهج التاريخي :-

وسوف أتتبع من خلال المنهج أصل المشكلة ونشأتها وتطورها ، من أجل وضع الحلول المناسبة للمساوئ الأخلاقية المنتشرة وهذا المنهج يحدد الفترة الزمنية لمولد ووفاة الفارابي .

٢- المنهج المقارن :-

وسوف أحاول فيه أن أبين أهم أوجه الاختلاف بين الفضائل والرذائل ، والأفعال الخيرة والأفعال الشريرة ، وأيضاً الحسن والقبيح ، والفرق بين الإلزام الخلقي والإلتزام الخلقي .

٣- المنهج النقدي :-

وسأعرض من خلاله النقد الذي وجهه الفارابي إلى أسباب انتشار الأعمال الشريرة في مجتمعه ، لكي يكون مجتمع مثالي قائم على الفضائل الأخلاقية .

وسنتناول عرض هذا البحث من خلال سبع نقاط مهمة بالإضافة إلى التمهيد والتعقيب .

النقطة الأولى :- تتناول أهمية الفعل الإنساني في الدراسات الإنسانية والأخلاقية وعلاقته بالمسؤولية والجزاء .

النقطة الثانية :- تبين حقيقة الفعل الإنساني ، وارتباطه بالتكليف والقدرة العقلية عند الإنسان ، ويسميها الفارابي القوة الفكرية .

النقطة الثالثة :- أحكام حقيقة الفعل الإنساني وما ينتج عنه من جزاء دنيوي وأخروي.

النقطة الرابعة :- دعائم الفعل الإنساني وهو الإلزام الخلقي .

النقطة الخامسة :- مصادر الإلزام الخلقي ومن أهمها الفطرة السليمة عند الإنسان .

النقطة السادسة :- وهي أحكام الفطرة الإنسانية .

النقطة السابعة : أنواع الفضائل والرذائل من خلال المسؤولية والجزاء في فلسفة الفارابي.

أولاً حياته ونشأته :-

((محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي)) الفيلسوف من الفاراب أحدى مدن الترك فيما وراء النهر فيلسوف المسلمين غير مدافع دخل العراق وأستوطن بغداد وقرأ بها الحكمة على يد ((يوحنا)) [1].

والفارابي هو الذي أسس أركان الفلسفة ، لذلك يقول د/ أحمد فؤاد الأهوني ((أرسى الكندي دعائم الفلسفة الإسلامية وجاء أبو نصر الفارابي (٢٥٩ – ٣٣٩ هـ ٨٧٠ – ٩٥٠ م) فوطد أركانها وثبت بنيانها ، وسماه العرب ((المعلم الثاني)) باعتبار أرسطو المعلم الأول .

---

[1] أخبار العلماء بأخبار الحكماء – القفطي المتوفى ٦٤٦ – مكتبة المتنبي – القاهرة – ص١٨٢ .

وهو فيلسوف أسلامي مع أن أصله تركي ولد بقرية بوسينج من أعمال فاراب التي ينسب إليها ، وتعلم العربية إلى جانب التركية والفارسية ، ولكنه اتخذ اللغة العربية لساناً ، كما أتخذ الإسلام ديناً))[٢] .

* **مكانته العلمية** :- يقول عنه البيهقي (وهو الملقب بالمعلم الثاني ولم يكن أفضل منه في حكماء الإسلام قبله وقيل الحكماء أربعة إثنان قبل الإسلام وهما أرسطو وأبوقراط وإثنان في الإسلام وهما أبو نصر وأبوعلي وكان بين وفاة أبي نصر وولادة أبي على ثلاثون سنة). [٣]

ويقول عنه ابن النديم في كتاب الفهرست ((أبو نصر من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة))[٤].

وقال عنه الشيخ الرئيس ابن سينا ((أيست من معرفة غرض ما بعد الطبيعة حتى ظفرت بكتاب لأبي نصر في هذا المعنى فشكرت الله تعالى على ذلك وصمت وتصدقت بما كان عندي))[١]

ويقول عنه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ((وظلت تآليفه النبراس الذي يضئ لنا الطريق))[٢] * **مؤلفاته** :-

ومن أهم مؤلفات الفارابي الفلسفية والأخلاقية والمنطقية التي ذكرها البيهقي فيقول ((وله تصانيف كثيرة أغلبها موجودة في الشام وما وجد منها بخرسان : المختصر الأول في المنطق آراء أهل المدينة الفاضلة ، التعليقات ، وشرح كتب أرسطو وشرح أوقليدس في الموسيقى أربعة مجلدات ، وكتاب النفس))[٣]

وله مؤلفات ايضا في علم المنطق متنوعة ومتعددة ذكرها ابن النديم في كتابه الفهرست حيث يقول ((وله من الكتب أنالوطيقا الثاني ، وكتاب البرهان ، وكتاب الأخلاق لأرسطو ، وكتاب الخطابة ،أروطويقا وكتاب القياس قاطيغورياس))[٤].

وفاته يقول بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي ((أبو نصر محمد بن طرخان توفي سنة ٣٣٩هـ-٩٥٠م))[٥]

ثانياً :- أهمية الفعل الإنساني في الدراسات الإنسانية عند الفارابي :-

الفعل الإنساني هو محور الدراسات الإنسانية ، لان الإنسان هو جوهر الوجود ، وهو مكرم بالعقل من عند الله سبحانه وتعالى .

يقول الفارابي (العلم الإنساني : هو الذي يفحص عند الغرض الذي لأجله ، كوّن الإنسان ، وهو الكمال الذي يلزم أن يبلغه الإنسان ، وماذا كيف هو؟ هو النظر للإنسان بالإرادة [*] ولسائر الأشياء الأخرى ، فيفرد للأشياء الكائنة عن الإرادة نظر وفحص وعلم)[٦] .

ويقول الفارابي أيضاً عن الفعل الإنساني ((وهو يشتمل على الموجودات التي وجودها بإرادة الإنسان أصلاً ، وهي الأجسام المركبة من الصور والمواد والأغراض اللاحقة لها من جهة الصور والمواد ، ومنها العلم الإرادي وهو يشتمل على الموجودات الكائنة بإرادة الإنسان واختياره ، وهي الفضائل والرذائل))[١] .

ثالثاً :- أحكام حقيقة الفعل الإنساني ومسؤولية الإنسان تجاه الخير والشر عند الفارابي :-

يعرَّف لنا الفارابي معنى الفعل الإنساني وحقيقته المرتبط بالأخلاق ، وأن فعل الإنسان مرتبط بقدرته على الإدراك والفهم ، والتمييز بين الخير والشر والفضائل والرذائل من خلال القوة الفكرية التي يمتلكها الإنسان .

---

[٢] الفلسفة الإسلامية – د. حمد فؤاد الاهواني – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – ١٩٦٢– ص٧٠،٧١

[٣] تاريخ حكماء الإسلام البيهقي - تح ممدوح حسن محمد - مكتبة الثقافة الدينية - مصر - ط١ - ١٩٩٥ - ص٤١.

[٤] الفهرست ابن النديم - تح ناهد عباس - دار قطري بن الفجاءة - ط١ -١٩٨٥ - ص٥٣٣.

[١] تاريخ حكماء الإسلام - البيهقي - مصدر سابق - ص٤١.

[٢] الفلسفة الإسلامية - د.أحمد فؤاد الأهواني - ص٩٧

[٣] تاريخ حكماء الإسلام - البيهقي - مصدر سابق - ص٤١.

[٤] الفهرست ابن النديم - مصدر سابق - ص٥٣٣.

[٥] تاريخ الأدب العربي - بروكلمان - ترجمة د.عبد الحليم النجار - دار المعارف -مصر - ط٤ - ص١٣٧.

[*] الإرادة : ميل يعقب اعتقاد النفع ، الإرادة : مطالبة القلب غذاء الروح من طيب النفس ، وقيل : الإرادة حب النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا ، وقيل الإرادة جمرة من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة (التعريفات – الجرجاني – ص ٢٠ .

[٦] الحدود والرسوم – الفارابي – تحقيق د/ جعفر آل ياسين – عالم الكتب – الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م – ص ٣٨٠ .

[١] تعاليق ابن باجة على منطق الفارابي – تحقيق د/ ماجد فخري – دار الشرق بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م – ص ٢٧ .

فيقول ((وأكمل ما تكون القوة الفكرية متى كانت إنما تستنبط أنفع الأشياء في تحصيلها ، وربما كانت خيراً في الحقيقة ، وربما كانت شراً ، وربما كانت خيرات مظنونة أنها خيرات ، فإذا كانت الأشياء التي تستنبط هي الجميلة والحسنات ، وإذا كانت الغايات شروراً كانت الأشياء التي تستنبط بالقوة الفكرية شروراً أيضاً وأمور قبيحة وسيئات))[٢] .

وفي مكان آخر يشرح الفارابي أهمية العقل بالنسبة لحقيقة الفعل الإنساني وعملية الإدراك حيث يقول (قوم من الناس يسمون المتعقلين حكماء والحكمة أفضل علم لأفضل الموجودات ، والتعقل إذا كان إنما يدرك به الأشياء الإنسانية ، فليس ينبغي أن يكون حكمة اللّهم إلا أن يكون الإنسان هو أفضل ما في العالم ، وأفضل الموجودات ، فإذا لم يكن الإنسان كذلك ، فالتعقل ليس بحكمة إلا بالاستعارة والتشبيه))[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الفارابي يميز بين حقيقة الفعل الإنساني وبين غيره من الكائنات الحية ، والسبب في ذلك أن الإنسان مميز بنعمة العقل من عند الله سبحانه وتعالى فيقول ((الذهن [*] هو القدرة على مصادفة صواب الحكم فيما يتنازع فيه من الآراء المعتاصة والقوة على تصحيحه ، فهو جودة استنباط لما هو صحيح من الآراء ، فهو إذن نوع من أنواع التعقل))[٤] .

والإنسان لا يستطيع أن يحقق حقيقة الفعل الإنساني ، إلا إذا كان ذو جودة في الرأي ، لكي يختار الأفعال الحسنة والفضائل الخلقية ، حيث يقول الفارابي :((جودة الرأي هو أن يكون الإنسان ذا رأي ، أو جيد الرأي ، هو أن يكون الإنسان فاضلاً خيراً [*] في أفعاله ، ثم يكون قد جرّبت أقاويله وآراؤه ومشوراته مراراً كثيرة ، فوجدت سديدة مستقيمة تنتهي بالإنسان إذا استعملها إلى عواقب محمودة ، ويكون قد صار لذلك مقبول القول))[٥] .

ثالثاً :- أحكام حقيقة الفعل الإنساني عند الفارابي وعلاقته بالمسؤولية والجزاء :-

فيما سبق يتبين لنا أن الفارابي قام بشرح معنى وتعريف الفعل الإنساني وحقيقته ، ثم بعد ذلك يبين لنا أحكام حقيقة الفعل الإنساني ، لأن هناك أموراً فعلية لا يمكن للإنسان أن يوكل فيها أحداً غيره ، لأنها نابعة من الإلزام الداخلي وهو الضمير المرتبط بنية الإنسان حيث يقول ((ما لا تحصل مصلحته إلا للمباشر فلا يجوز التوكيل فيها لفوات المصلحة بالتوكيل كالعبادة ، والمؤمن من تكون طاعته لمولاه ، وبغضه لدنياه ، وزاده تقواه ، وعلامة ذكراه))[١].

ومن أهم الأحكام الحقيقية للفعل الإنساني عند الفارابي التي لا يجوز التوكيل فيها فضيلة الخشوع ، لأنها من أهم أركان العبادة فيقول [*]((وأما الخشوع فهو أن يقال أن إلهاً يدير العالم ، وإن الروحانيون مديرون مشرفون على جميع الأفعال ، واستعمال تعظيم الإله والصلوات والتسابيح والتقاديس ، وإن الإنسان إذا فعل هذه وترك كثيراً من الخيرات المتشوقة في هذه الحياة ، وواظب على ذلك ، عُوّض عن ذلك وكوفئ بخيرات عظيمة))[٢] .

رابعاً :- دعائم الفعل الإنساني عند الفارابي :-

بعد أن تحدث الفارابي عن الأحكام الحقيقية التي ترتبط بالفعل الإنساني وهي أن هناك أفعالاً لا تكون إلا للإنسان نفسه فقط ، نظراً لقوله تعالى چ □ □ □ □ چ سورة المدثر : الآية ٣٨ و چ □ □ □ ى ى چسورة الطور : الآية ١٦ .

والفارابي باعتباره فيلسوفاً إسلامياً كان متسقاً في أفكاره بأسلوب بياني خالٍ من التعقيد يوضح أن لنا دعائم الفعل الإنساني ، مقوماته وأسس قيام الفعل الإنساني وهي ما يلي :-

أ- الإلزام [*]:-

---

[٢] التنبيه على سبيل السعادة – الفارابي – تحقيق د/ جعفر آل ياسين – دار الأندلس للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – ١٤٠١ هـ - ١٩٩٨ م – ص ٦٩ .

[٣] فصول منتزعة - الفارابي -تح- فوزي متري– دار الشرق بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩٣ م – ص ٦١ ، ٦٢ .

[*] الذهن : قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة معدة لاكتساب العلوم والذهن : هو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر (التعريفات – الجرجاني – ص ١١ .

[٤] فصول منتزعة – الفارابي – مصدر سابق – ص ٥٨ ، ٥٩ .

[*] الخير : الخير اسم تفضيل كقولنا الحياة خير من الموت ، وهو يدل على الحسن لذاته ، وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة ، (المعجم الفلسفي – د. جميل صليبا – بدون طبعة – ص ٥٤٨ .

[٥] فصول منتزعة – الفارابي – مصدر سابق – ص ٥٩ .

[١] الأسئلة اللامعة والأجوبة الجامعة – الفارابي – تحقيق د. محسن مهدي – الطبعة الثالثة – ٢٠٠١ – ص ٦٤ .

[*] الخشوع والخضوع والتواضع : بمعنى واحد ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة : الخشوع الانقياد للحق ، وقيل هو الخوف الدائم في القلب ، من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رُدَّ عليه استقبل ذلك بالقبول (التعريفات – الجرجاني – ص ١٠٣ .

[٢] آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي – تحقيق د/ ألبير نصري نادر – دار الشرق بيروت – الطبعة السابعة – ١٩٩٦ م – ص ١٦٠ .

[*] الإلزام الخلقي : وهو لا ينشأ عن عقد ، بل ينشأ عن طبيعة الإنسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر ، فيما كافعله أو عدم فعله ، ممكناً من الناحية المادية ، ثم أوجب حكمه من الناحية الخلقية ، كان إلزامياً (المعجم الفلسفي – جميل صليبا – ج١ – ص ١٢١ .

ينظر الفارابي إلى الفعل الإنساني من منظور إسلامي ، وأول هذه الدعائم الأساسية للإلزام هو ما يطلق عليه لفظ تكليف ، لأن التكليف متعلق بالفعل الإنساني سواء في معرفة الفضائل والتمسك بها أو معرفة الرذائل وتجنبها حيث يقول ((وصناعة الفقه [*] هي التي بها يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شيء ما لم يصرّح واضع الشريعة بتحديده عن الأشياء ، التي صرح فيها بالتحديد والتقدير ، وأن يتحدى تصحيح ذلك على حسب غرض واضع الشريعة بالملة التي شرعها في الأمة))[٣] .

ومن شروط التكليف بالإلزام الخلقي ، لابد أن يكون الإنسان عاقلاً فيقول (هيئة ما في مادة مُعّدة لأن تقبل رسوم المعقولات)[١] ويقول الفارابي أيضا عن الإلزام الخلقي ((فإنه يلزم ضرورة أن يكون من يستعملهم من أهل الفضائل وأهل الصنائع في تأديب الأمم وأهل المدن طائفتين أوليتين :-

١- طائفة يستعملهم في تأديب من يتأدب منهم طوعاً .

٢- وطائفة يستعملهم في تأديب من سبيله أن يؤدّب كرهاً وذلك على مثال ما يوجد الأمر عليه في أرباب المنازل والقوام بالصبيان والأحداث))[٢] .

شروط التكليف لدعائم الفعل الإنساني (الإلزام) :-

يحدد الفارابي شروطاً للمكلف من أهمها القدرة ، ومعرفة الفعل قبل وقوعه ، وعلم المكلف لابد أن يكون من كسبه وقدرته وإرادته ، يحقق له السعادة حيث يقول ((ولما كان شأن الخير في الحقيقة أن يكون ينال بالاختيار والإرادة وكذلك الشرور ، إنما تكون بالإرادة والاختيار))[٣] .

ويقول أيضاً ((أن يكون جيد [*] الفهم والتصور للشيء وللشيء الذات))[٤].

خامساً :- مصادر الالتزام [*] الخلقي عند الفارابي :-

من أهم مصادر الالتزام الخلقي عند الفارابي وهي ما يلي :-

أ- الفطرة [*] :-

يستدل الفارابي على أهمية الفطرة لقيمتها في مصادر الإلزام الأخلاقي من خلال الأدلة النقلية حيث يقول قال تعالى چ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ۇ چ سورة الروم آية ٣٠ ، ((چ ڃ ڃ چ چ چ چ سورة البقرة آية ٢١٣))[٥] وخلق الفعل والاستعداد الفطري كامن داخل كل نفس بشرية لأنه المرشد للإنسان في اختيار أفعاله والتمييز بين الخير والشر والحق والباطل فيقول (والفطرة السليمة في اصطلاح الفلاسفة : استعداد لإصابة الحكم ، والتمييز بين الحق والباطل)[٦] .

سادساً :- أحكام الفطرة الإنسانية عند الفارابي :-

نظراً لأهمية الفطرة الإنسانية في مصادر الالتزام ، نجد أن الفارابي يفصّل القول في الفطرة وأحكامها ، لأنها هي التي تميز بين طبائع الإنسان لاختيار أفعاله ، سواء من ناحية الخير أو الشر حيث يقول ((لا يمكن أن يُفطر الإنسان من أول مرة بالطبع ذا فضيلة ولا رذيلة ، كما لا يمكن أن يُفطر الإنسان بالطبع طائعاً ولا كاتباً ولكن يمكن أن يفطر بالطبع معداً نحو أفعال فضيلة أو رذيلة بأن تكون أفعال تلك أسهل عليه من أفعال غيرها))[١] .

الفطرة لا بد أن تكون مرتبطة بالتكليف والطباع السليمة لكي يكون الإنسان مسئولاً عن أفعاله وسلوكه فيقول (وأن فطرة كل إنسان أن يكون مرتبطاً فيما ينبغي أن يسعى له بإنسان أو ناس غيره)[٢] .

---

[*] الفقه : عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه ، وفي الاصطلاح : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية (التعريفات – الجرجاني – ص ١٧٠ .

[٣] الملة ونصوص أخرى – الفارابي – مصدر سابق – ص ٧٥ .

[١] الحدود والرسوم – الفارابي – ص ٣٦٨ .

[٢] تحصيل السعادة – الفارابي – ص ٨٠ .

[٣] آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي – ص ١١٨ .

[*] الفهم : تصور المعنى من لفظ المخاطب (التعريفات – الجرجاني – ص ١٧٤ .

[٤] الحدود والرسوم – الفارابي – ص ٤٢٢ .

[*] الالتزام : التزام الشيء أو العمل : أوجبه على نفسه ، والملتزم هو الرجل الذي أوجب على نفسه أمراً لا يفارقه ، ومنه العقل الملتزم ، وهو العقل الذي ينظر إلى ما تتضمنه أحكامه من النتائج الاجتماعية والأخلاقية بعين الجد والرصانة ، أو العقل الذي يقر بوجوب وفائه بعهده ، وبضرورة محافظته حق الأمانة في تأدية رسالته (المعجم الفلسفي – جميل صليبا – ط١- ص ١١٨ .

[*] الفطرة : الفطري هو المنسوب إلى الفطرة وهو مقابل للمكتسب ، والفطرة هي الجبلة التي يكون عليها كل موجود في أول خلقه قال تعالى چ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ۇ ۆ و و ۈ چ وفي الحديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (المعجم الفلسفي – جميل صليبا – ج٢ – ص ١٥٠ .

[٥] تحصيل السعادة – الفارابي – مصدر سابق – ص ١١٥ .

[٦] المصدر السابق – الصفحة نفسها .

[١] فصول منتزعة – الفارابي – ص ٣١ .

[٢] تحصيل السعادة – الفارابي – ص ٦٣ .

* والفطرة لها أحكام مهمة وهي الاستعداد لتقبل الفضيلة أو الرذيلة حيث يقول الفارابي ((عسير بل غير ممكن أن يوجد إنسان مفطوراً على استعداد نحو أفعال ثم لا يمكنه أن يفعل أضداد تلك الأفعال ، لكن أي إنسان فطر على هيئة واستعداد نحو أفعال فضيلة أو رذيلة ، فإنه قادر على أن يخالف ويعمل الفعل الكائن عن ضد ذلك الاستعداد ، لكن يعسر عليه ذلك))[٣] .

* ومن الجدير بالذكر بأن الفارابي جعل الالتزام بالفضائل الأخلاقية أمر ضروري وهام في من يتسامى إلى تعلم الفلسفة لذلك يقول ((ينبغي لمن أراد الشرع في علم الحكمة أن يكون شاباً صحيح المزاج متأدباً بآداب الأخيار ، وقد تعلم القرآن واللغة وعلم الشرع أولاً ويكون حنيناً عفيفاً متحرجا صدوقاً ، معرضاً عن الفسق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه ويكون مقبلاً على آداب السنة ويكون معظماً للعلم والعلماء ولم يكن عنده لشيء قدر إلا العلم وأهله ولا يتخذ علمه من جملة الحرف والمكاسب وآلة الكسب والأموال ومن كان بخلاف ذلك حكيم زور وبنهرج ، فكذلك من كانت أخلاقه خلال من ذكرنا لا يعد من جملة الحكماء))[٤]

ويقول الفارابي أيضا في كتابه التنبيه على سبيل السعادة على كل من يريد تعلم الفلسفة لابد أن يلتزم بالصبر والصدق والعدل وعفة النفس ومحباً للخير حيث (يقول يجب أن يكون صبوراً على الكد الذي يناله في التعليم - بالطبع - محباً للصدق وأهله والعدل وأهله غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب وأن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس ، وأن يكون ورعاً سهل الإنقياد للخير والعدل عسر الإنقياد للشر والجور ، وان يكون مع ذلك متمسكاً بالفضائل .[٥]

مما سبق يتبين لنا أن الفارابي يحدد شروطاً أخلاقية لمن يريد أن يطلب الفلسفة ومعنى ذلك أنه كان يستخدم المنهج الأخلاقي من خلال أحكام الفطرة الإنسانية باعتبارها مصدراً ومصدر من
أهم مصادر الخير والشر والفضيلة والرذيلة .

سابعاً : أنواع الفضائل والرذائل المترتبة على المسؤولية الجزاء عند الفارابي :-

فيما مضى يتضح لنا أن الفارابي قد تحدث عن مفهوم الضمير الخلقي من خلال الإلزام والإلتزام الأخلاقي ، وبين لنا أن الضمير الخلقي هو الحاسة الفطرية التي تفرق بين الخير والشر ، وأنه القوة الفطرية المدركة المودعة في باطن كل فرد والضمير الخلقي هو أيضا القوة التي تعد المرجع لبيان الخير والشرا لا والحسن والقبيح . ومن الجدير بالذكر نجد أن الفارابي حدد لنا سمات وخصائص الضمير الإنساني من اجل دعائم الفعل الإنساني فمن أهم هذه الخصائص أن الضمير هو قوة من قوى النفس البشرية المركبة من عناصر عقلية وإرادية ووجدانية في وحدة متكاملة وأن الضمير يتأثر بعوامل التربية والبيئة .

ونلاحظ أن الفارابي استطاع أن يحدد لنا مصادر الإلزام الخلقي من خلال مؤلفاته الخاصة فيقول إن الإلزام الخلقي هو الذي يساعد على قيام وبناء الفعل الأخلاقي . ومن أهم مصادر الإلزام الخلقي عنده وهي العادات والتقاليد والأعراف ، لأن العرف ما استقرت عليه النفوس بشهادة العقول ومن مصادر الإلزام الخلقي عنده القوانين الوضعية للمجتمع وهذه القوانين عبارة مجموعة من القواعد تنظم العلاقات الإجتماعية مثل القانون الديني والقانون الخلقي ، والقانون الطبيعي .

* ومن أهم مصادر الإلزام الخلقي عند الفارابي العقل والضمير الإنساني وما ينتج عنهما من قواعد ملزمة للسلوك البشري للتمييز بين الخير والشر والفضائل والرذائل لذلك نجد الفارابي يستخدم المنهج المقارن في دراسة الفضائل والرذائل حيث يقول أولاً عن الفضائل :- ((الفضيلة الإنسانية : هي التي متى استعملها صاحبها على ما أوجبه الناموس كانت فضيلة إلهية)) .[١]

وهذا المعنى يفيد أهمية الفضيلة الإنسانية المتميز بها الإنسان ، لأنه مكلف بالعقل فيجعله يحترم القوانين والنواميس المتبعة في المجتمع الإنساني أي اتباع الإلزام الأخلاقي من خلال المجتمع .

---

[٣] فصول منتزعة – الفارابي – ص ٣٥ ، ٣٦ .
[٤] تاريخ حكماء الإسلام - البيهقي - مصدر سابق - ص٤٤.
[٥] التفكير الفلسفي في الإسلام - د. عبد الحليم محمود - دار المعارف - مصر-ط٤ - ص١٣٦.
[١] الحدود والرسوم - الفارابي - مصدر سابق - ص٤١٤.

وهناك الفضيلة الفكرية وهي المستخدمة في قيام الرئاسة والدولة ويقول الفارابي عنها ((هي الفضيلة الفكرية التي يستنبط بها ما هو أنفع وأجمل في الغايات المشتركة عند الوارد والمشترك للأم أو لأمة أو لمدينة فيما كان منها لا يستبدل إلا في مدد طويلة)) .[٢]

ولكي يفسر لنا الفارابي أهمية الفضائل في بناء المجتمعات الإنسانية ،وهذه الفضائل جاءت من خلال الإلزام والإلتزام الأخلاقي عند الإنسان حيث يقول الأشياء الإنسانية إذا حصلت لهم بها السعادة الدنيا في الحياة الأولى والسعادة القصوى في الحياة الأخرى ، أربعة أجناس :-

١- الفضائل النظرية .
٢- الفضائل الفكرية .
٣- الفضائل الخلقية .
٤- الفضائل العملية

و الفضائل النظرية هي العلوم والغرض الأقصى منها تحصيل الموجودات .[٣]

فيما مضى من خلال دراسة الفارابي للفضائل بوجه عام فيقول عنها ((الفضائل هيئات نفسانية بها يفعل الإنسان الخيرات والأفعال الجميلة))[١]

ويقول أيضاً الفارابي عن قيام الفضائل الأخلاقية عن طريق القوة النفسانية ((القوة النفسانية المفطورة في الإنسان التي بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون سواء من الحيوان وهي التي بها يحصل للإنسان المعقولات والعلوم والصناعة وبها تكون بها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال))[٢]

***أهم الرذائل عند الفارابي :-**

١- رذيلة الجبن :-

يقول عنها الفارابي والزيادة في الإقدام عليها تكسب التهور والنقصان في الإقدام يكسب الجبن وهو خلق قبيح .[٣]

٢- رذيلة الحمق :-

ورذيلة الحمق مهمة عند الفارابي لذلك يقول عنها ((الحمق هو أن يكون تخيله للمشهورات سليما وعنده تجارب محفوضة ... فيكون فعله ومشورته على حسب ما تخيل له ريته الفاسدة ، فلذلك يكون الأحمق في أول ما تشاهده صورته صور عاقل ، ويكون مقصده صحيحاً ، وكثيراً ما توقعه رويته في الشر))[٤]

٣- رذيلة التمويهات والمخادعات والغرور:-

وهي موجودة في المدينة الضالة فيقول عنها الفارابي ((ويكون رئيسها الأول ممن أوهما أنه يوحي إليه من غير كذلك ويكون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور))[٥]

٤- رذيلة التمويه في الوصل إلى الحق :-

يقول الفارابي عن السوفسطائية ((وأما السوفسطائية فهي الصناعة المشتملة على الموجودات من حيث يموه ويغالط بها ، ويصور الحق منها بصورة الباطل والباطل بصورة الحق ، ومبلغها في الحق الصد عنه))[٦] ، إذن من خلال المقارنة بين الفضائل والردائل يتبن لنا الحكم الخلقي مرتبط بالنية لأن النوايا هي مناط الحكم الخلقي فمتى حسنت النية وكان القصد جداً كان العمل خيراً مهما كانت نتيجته ، وإذا كانت نية عكس ذلك كانت النتيجة رذيلة .

*فيما مضى يتبين لنا أن الفارابي من خلال شرحه للفضائل والرذائل نجد أتهما ينتجان من خلال المسؤولية والجزاء

---

[٢] تحصيل السعادة - الفارابي - مصدر سابق - ص٧١.
[٣] المصدر السابق - ص٤٩.
[١] الحدود والرسوم عند الفارابي - مصدر سابق - ص ٤١٢.
[٢] إحصاء العلوم - الفارابي - ص٣٦-٣٧.
[٣] فصول منتزعة - الفارابي - مصدر سابق - ٣٦.
[٤] أراء أهل المدينة الفاضلة - الفارابي - مصدر سابق - ص١٣٣.
[٥] المصدر السابق - نفس الصفحة .
[٦] تقاليد ابن باجه على منطق الفارابي - تح - د.ماجد فخري - مصدر سابق - ص٢٩.

خلاصة البحث

وهكذا قد تبين لنا بعد استعراض آراء الفارابي في الفعل الإنساني أنه جاء متسقاً تماماً مع تعاليم الشريعة الإسلامية ، وكانت نظرية الفارابي في الفعل الإنساني تهدف إلى تهذيب النفوس بالأخلاق والواجبات .

من حقائق الفعل الإنساني عند الفارابي الحرية والاختيار وكونه عالماً قادراً .

من دعائم الفعل الإنساني عند الفارابي الإلزام ويسمى واجباً ومن شروطه التعليق أو يجب على المكلف طاعة الله بفعله حتى يصل إلى الأخلاق الحميدة .

تناول الفارابي مصادر الإلزام وهي الفطرة ويستدل بالأدلة النقلية على ذلك .

من دراسة الفارابي لمصادر الإلزام يستنتج المسئولية الأخلاقية وتصور حرية الإرادة ، وبين علاقة الضمير بالمسئولية .

من شروط الفطرة عند الفارابي لا بد أن تكون مرتبطة بالتكليف ، ومرتبطة فيما ينبغي أن يسعى إليه الإنسان أي النظر إلى الأفضل والأحسن ، واختيار الأفعال الجميلة الطيبة .

الفطرة السليمة هي الاستعداد لإصابة الحق والتمييز بين الخير والشر .

وقد اتجهت عناية الفارابي إلى السياسة والأخلاق فألف المدينة الفاضلة وبضع رسائل أخرى منها السعادة ، والسياسات المدنية ، والتنبيه على سبل السعادة ، وجملة رأيه في صلاح الدولة أنها يجب أن تقوم على الأخلاق الفاضلة .

الفضائل عنده ثلاثة أنواع : نظرية وفكرية وخلقية وعملية والرذائل عنده مثل .

تناول الفارابي بالشرح والتفصيل مفهوم الفعل الإنساني وعلاقته بالفضائل النظرية وهي العلوم المختلفة التي تستهدف المعرفة بالموجودات ، وهي قسمان علوم فطرية بديهية ، وأخرى تحصل بالتأمل والفحص والتعليم والتعلم .

أهتم الفارابي بالفضائل الفكرية النافعة في تحصيل الغايات التي ينصبها الإنسان أمام عينيه ثم يسعى إلى تحقيقها وبمقدار ما كانت الغايات نافعة جميلة كانت الوسائل نافعة جميلة كذلك .

لقد اهتم الفارابي بتعريف الحكم الخلقي من خلال المقارنة بين الفضائل والرذائل فيعرفه لنا فيقول الحكم الخلقي هو تقدير العمل الخلقي على أساس ما ألفته ضمائرنا من مبادئ الأخلاق وقواعدها .

والأخلاق ضرورة لكل إنسان عرف ربه حق المعرفة ، وواجب علينا البحث عنها والتحلي بها لأنها ترسم للإنسانية طريق السعادة في الدارين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١. أخبار العلماء بأخبار الحكماء – القفطي – مكتبة المتنبي – القاهرة – بدون طبعة .
٢. تاريخ حكماء الإسلام – ظهير الدين البيهقي – تحقيق ممدوح حسن محمد – مكتبة الثقافة الدينية – الطبعة الأولى – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
٣. تعاليق ابن باجا على منطق الفارابي – تحقيق د/ ماجد فخري – دار المشرق – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م .
٤. التعريفات – الجرجاني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –ط٢ – ٢٠٠٢ م .
٥. التفكير الفلسفي في الإسلام - د. عبد الحليم محمود - دار المعارف - ط٤ - ١٩٨٥ .
٦. الفارابي : إحصاء العلوم – تحقيق د/ علي بوم لحم – دار الهلال – الطبعة الأولى – ١٩٩٦ م .
٧. الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة – قدم وعلق عليه د/ ألبير نصر نادر – الطبعة السابعة – ١٩٩٦ م .
٨. الفارابي : الحدود والرسوم : تحقيق د/ جعفر آل ياسين – عالم الكتب – الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٩. الفارابي : الملة ونصوص أخرى – حققها د/ محسن مهدي – دار المشرق بيروت – الطبعة الثالثة – ٢٠٠١ م .
١٠. الفارابي : تحصيل السعادة – تحقيق د/ جعفر آل ياسين – دار الأندلس للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
١١. الفارابي : رسالة الأسئلة اللامعة والأجوبة الجامعة – تحقيق – محسن مهدي – الطبعة الثالثة – دار المشرق – بيروت – ٢٠٠١ م .
١٢. الفارابي : فصول منتزعة – تحقيق د/ فوزي متري النجار – دار الشرق – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩٣ م .
١٣. الفلسفة الإسلامية – د/ أحمد فؤاد الأهواني – المؤسسة المصرية العامة – ١٩٦٢ م .
١٤. المعجم الفلسفي – د/ جميل صليبا – ط١–ج٢- دار الكتاب العالمي– ١٤١٤هـ-١٩٩٤
١٥. المعجم الفلسفي – د/ مراد وهبة وآخرون – القاهرة – ١٩٦٦ م .